وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

دور قلعة بني حماد في التأثير على بجاية في مجال العلمي والثقافي والإجتماعي.

من إعداد الطالبتين:

- عواد نجمة
- طيبي غنية

تحت إشراف:

د. زلماط إلياس

أعضاء اللجنة المناقشة :

بخلوة حسين .....رئيسا

حاكمي الحبيب .....مناقشا .

زلماط إلياس .....مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1441-1442 هـ / 2020-2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

كلمة شكر وعرفان:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

" صحيح البخاري "

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل " زلماط إلياس "

وأيضا إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة ابن خلدون- تيارت-

وإلى كل من ساندنا ودعمنا ولو بكلمة.

الإهداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أبي وأمي الكريمين أطال الله في عمركما.

إلى أخي وإخوتي كما أهديه إلى كل الأسرة الكريمة دوم استثناء

إلى الأساتذة الكرام وإلى أحبائي

وإلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

وإلى كل زملائي دفعة الماستر: 2021/ 1442هـ

إلى كل من وقف بجانبي طيلة هذا العمل.

عواد نجمة

إهداء:

باسم من خلق الكون وعظمه وخلق الإنسان وكرمه أما بعد:

لا يسعني إلا أن أشكر من ذكر الرحمان اسمها في القرآن الكريم وأوصى إليهما بالإحسان.

إلى أمي العزيزة التي

أتمنى أن يطيل الله في عمرها

إلى أبي الغالي أعزه الله وحفظه

إلى سند البيت إخوتي الاعزاء حفظهم الله من كل سوء وسدد خطاهم – مختار، قادة، بدر الدين–

إلى أختي رفيقة دربي حورية

إلى من يسعد القلب برؤيتهم كتاكيت روحي – مرام، محمد، لخضر–

إلى رمز الحب والصداقة صديقاتي– حليمة، كلتوم، جهيدة–

أرجو من الله أن يوفقهم في حياتهم

قائمة المختصرات:

الرمز	معناه
ج	الجزء
تح	تحقيق
تع	تعليق
ط	طبعة
مرا	مراجعة
ص ص	صفحتان فأكثر
ص	صفحة واحدة
تر	ترجمة
تص	تصحيح
ت	توفي
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
تق	تقديم
مج	مجلد

مقدمة

مقدمة:

يعتبر المغرب الاوسط قلعة من قلاع الإسلام الحصينة ، لها تاريخ عريق من خلال مروره بعدة حضرات ودول

ولقد شهد التاريخ الإسلامي نبوع عدة دول، وبين هذه وتلك برزت دولة لها وزن كبير في المغرب الإسلامي ألا وهي دولة بني حماد، إحدى القوى السياسية الكبرى وأول دولة مستقلة بالقلعة، لتليها بعدها حاضرة بجاية، وكان هذا خلال القرنين 05هـ و 11هـ وبمثابة العاصمة الثانية بعد أن كانت الدولة الرستمية تحتل المرتبة الأولى أنذك، كان لها أثر في بناء سرح كبير من تاريخ المغرب الإسلامي طيلة فترة قيامها وحتى بعد سقوطها، ولقد برزت كعاصمة سياسية لدولة بني حماد حظيت بأهمية عسكرية وسياسية واستراتيجية في تلك الحقبة الزمنية ساهمت في التأثير على بجاية في شتى المجالات سواء علميا أو اجتماعيا.

ومن هذا المنطلق أحييت البحث في موضوع بعنوان:

" دور قلعة بني حماد في التأثير على بجاية في المجال العلمي والثقافي والإجتماعي"

وتكمن أهمية اختيارنا لهذا الموضوع، كون أن له أهمية تاريخية وتعليمية، فهو يطلعنا على فترة هامة من تاريخ المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة، ساهمت بدور فعال في الميدان الحضاري وكان صداها يتردد إلى العالم الإسلامي، فللموضوع أهمية كبيرة في حقل الدراسات الوسيطة بالمغرب الإسلامي.

ومن الأسباب التي دفعتنا الإختياري هذا الموضوع:

- الرغبة في التعرف أكثر عن تاريخ قلعة بني حماد والدور الذي لعبته في التأثير على حاضرة بجاية.
- السعي لإثراء الرصيد المعرفي من خلال دراسة مفصلة لكلا الحاضرتين بكل وقائعها خاصة وأن بجاية تعتبر من أهم الحواضر التي شهدت فترات زمنية مختلفة من تاريخها العريق إضافة أن هاته الأخيرة تعد العاصمة الثانية للدولة.
- لكل من يبحث في طيات التاريخ على ماضي هاتين المنطقتين يكون له رغبة في خوض غمار الكتابة عليهما ودراسة خاصة في العصر الوسيط، وكون هذه الفترة شهدت نشاطا علميا وانتشارا واسعا للمراكز العلمية.

وكما هو معروف لا يخلو أي بحث تاريخي وعلمي من إشكالية عامة لموضوع ما يستطيع الباحث الإجابة عنها من خلال توسعه في البحث عن طريق إلمامه من كل جوانبه.

والإشكالية العامة كانت على النحو التالي:

- ما مدى تأثير قلعة بني حماد على حاضرة بجاية؟ وكيف كانت الأوضاع العامة بالمغرب إبان قيام الدولة الحمادية؟.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية

1- فيما تمثلت الحدود الجغرافية لكل من القلعة وبجاية؟
2- ما هي أهم الجوانب التي أدت إلى ازدهار الحاضرتين؟
3- ما هي أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في هذه الدولة؟
4- ما مدى تأثير الهجرات من القلعة إلى بجاية في تغيير تركيبة السكان؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات رأيت تتبع خطة عمل مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فلقد تناولنا فيها موضوع الدراسة، و كذا طرح الإشكال متضمنة تساؤلات فرعية، و عرضنا كذا أهم مراحل و خطوات الموضوع.

أما المدخل فلقد تحدثنا فيه عن أوضاع المغرب الأوسط قبيا قيام الدولة الحمادية بالقلعة.

أما الفصل الأول:

فلقد قدمنا فيه لمحة تاريخية و جغرافية عن كل من الدولة الحمادية و بجاية و أصل تسمية كل من الحمادية بين و بجاية و كذا نشاطاتها.

أما الفصل الثاني:

فلقد أبرزنا فيه الجوانب التي أدت إلى ازدهار الحاضرتين (قلعة بني حماد و بجاية) في الجانب الجغرافي و الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي.

أما الفصل الثالث:

عرضنا فيه: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المظاهر العلمية و الاجتماعية .

و ختمنا موضوع بحثنا هذا بخاتمة، استنبطنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم دعمنا هذه الدراسة بعدد من الملاحق لزيادة و توضيح الأفكار الواردة في متن المذكرة.

كما اعتمدنا في انجاز هذا العمل على المنهج التاريخي أولا الذي يقوم على جمع المادة التاريخية و دراتها و نقدها، و الوصفي ثانيا من خلال عرض الأحداث و وصفها، و كذا وصف الوضع الاقتصادي.

و لقد استخدمنا في بحثنا هذا مجموعة من المصادر و المراجع المختلفة التي تتعلق بموضوعنا، فسعينا قدر المستطاع الى تتوجها و من أبرزها مايلي:

1- كتب الرحالة و الجغرافيين

- كتاب "صورة الأرضي" لأبي القاسم النصيبي المشهور بإبن حوقل، (ت 368هـ/ 987م)، فهو من الجغرافيين اللذين توافدوا الى بلاد المغرب و كان معاصرا لأحداثها و سجل ملاحظاته، و لقد استخدمنا منه بشكل كبير في الجانب الاقتصادي في وصف أهم المدن و الحواضر و ذكر المحاصيل المتنوعة الموجودة في حاضرة بجاية.
- "كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب" و هو جزء من كتاب "المسالك و الممالك" ، الأبو عبيد الله البكري الأندلسي (487هـ/ 1094م)، أفادنا ف دراسة أهم المدن المغربية من خلال السلع و البضائع، فكان له نصيب في معظم دراستنا.
- كتاب "الرحلة المغربية" لصاحبه محمد ابن محمد ابن علي ابن أحمد العبدري البلنسي (نحو ت 725هـ/ 1325م)، حيث أفادنا هذا الكتاب في الطراز المعماري لحاضرة بجاية.

- كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" لصاحبه: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: أواخر القرن 09هـ/ 35م)، و الذي أفادنا في وصف مدينة بجاية و بضائعها و أسواقها.
- كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لصاحبه الشريف محمد بن عبد الله الإدريسي (ت: 560هـ/1166م)، الذي أفادنا في الحياة الاقتصادية لكل من الحاضرتين و كذا النشاط الصناعي ببجاية رغم أن هذا المؤلف ألف كتابه في صقلية بعيدا عن المغرب، إلا أن كتاباته دقيقة، فلقد أفادنا كثيرا.
- و كتاب "معجم البلدان" لصاحبه: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت: 626هـ/1229م)، و الذي ساعدنا في التعرف على الجانب التجاري للمنطقة و التعرف على بعض المواقع للحاضرتين.
- و كتاب "الجغرافيا" لصاحبه: نور الدين أبو الحسن على ابن موسى العنمي المعروف بإابن سعيد المغربي (ت: 685هـ/ 1286م)، فهذا الكتاب يعد من المصادر المهمة في كتب الرحالة الجغرافيا، حيث ساعدنا في تحديد جزء من موقع حاضرة بجاية، اضافة الى افادتنا في بعض عناصر من الموضوع.

أما كتب التاريخ:

- كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لصاحبه: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد- ابن خلدون (ت: 808هـ/1406م) ولقد استفدنا منه كثيرا وأمدنا بتفاصيل أولا: عن معرفة أصول البربر وعن انساب العرب الهلالية.وعليه أفادنا في مراحل موضوعنا بكثرة.
- كتاب المقدمة أيضا كان له نصيب من موضوع بحثنا فلقد استخدمنا منه في معرفة أهم القبائل والمجتمعات وأيضا معرفة العلوم المختلفة لكلا الحاضرتين سواء نقلية كانت أو عقلية.
- وكتاب " الكامل في التاريخ " لصاحبه: عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت:630هـ/1232م)، والذي يعتبر أجمل المصادر وأهمها، لأن هذا الكتاب حافل بمعلومات قيمة خاصة تلك التي تتحدث عن تاريخ المغرب، فتحدث عن العالم بوجه عام، والعالم الإسلامي بوجه خاص، ولقد استفدنا من هذا الكتاب كثيرا، فلقد أمدنا بمعلومات خاصة في المجال التاريخي من خلال الجانب السياسي لدولة بني حماد.
- وكتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لصاحبه: أبي العباس بن عذارى المراكشي كان حيا سنة (712هـ/1312م)، يغطي هذا الكتاب معظم أحداث المغرب الإسلامي منذ الفتح وحتى بداية عصر بني مرين، فهو من المصادر الأساسية والمهمة التي اعتمدنا عليها في الحديث عن الحياة العلمية وكذا كيفية قيام الدولة.

أما الدراسات الحديثة التي اعتمدت عليها بكثرة وكانت ركيزة بحثي وكان لها أسبقية كبيرة في دراسة جوانب من تاريخ دولة بني حماد وهي:

- بداية كتاب دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري"، لصاحبه: عبد الحليم عويس فيه العديد من الإشارات والمعلومات ما يسر لي الانطلاق في البحث.
- وكتاب " الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)" لصاحبه: بورويبة رشيد الدي كان من اهم المراجع المفيدة لي في مشوار بحثي.
- وأيضا كتابه المعنون بـ " مدن مندثرة " والذي يعتبر من خيرة المراجع خاصة وأنه تطرق إلى موقع مدينة قلعة بني حماد بالتفصيل.
- وكتاب " تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين " لكل من مؤلفيه: محمد بن عميرة، ولطيفة بشاري بن عميرة ، وهذا الأخير أفادنا في الحدود الجغرافية لبجاية، وكذا تسمياتها التي كانت تطلق عليها.
- وكذا كتاب " دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية " لمؤلفه: إسماعيل العربي، وهذا المرجع هو الآخر فلقد أفادنا في أهم الصناعات وكذا اهم الحرف التي كانت منتشرة انذاك في كل من مدينة القلعة ومدينة بجاية، ولقد كان في هذا الموضوع العديد من المراجع التي يسعنا أن نذكرها ولا يمكن الإغفال عنها فهي في متن البحث أفادتنا بشكل كبير، لا يمكن الإغفال عنه وعدم ذكره.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذه المذكرة وإن تحدثنا عنها فإننا لا نخرج عن الصعوبات الروتينية التي تواجه أي باحث أكاديمي في إعداد بحثه، ولكن ما هو أهم والذي نعتبره حقا من الصعوبات التي واجهتنا ألا وهي:

- صعوبة تحديد الموقع الجغرافي لمدينة بجاية لاتساع الرقعة الجغرافية.
- قلة المادة العلمية خاصة التي تتعلق بالجانب الاجتماعي والمتمثل خاصة في دور المرأة في المجتمع الحمادي .

عموما كان سير البحث عاديا، فلقد توفرت لدينا معظم المصادر والمراجع المطلوبة، وإن غابة عنا الخبرة في التعامل معها لكن بذلنا وقتا وجهدا في إنجاز هذه المذكرة.

وفي الأخير نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا على ما يسر ووفق أولا.

وأشكر كل من ساعدني وأرشدني ومد لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد، وأمل انناوفقنا في إنجاز هذا البحث المتواضع وأن يكون عند حسن ظن أساتذتي الذين يطلعون عليه والله من وراء القصد.

شهد المغرب الإسلامي في مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلاي بروز قوة جديدة على مسرح الأحداث و هي قبيلة صنهاجة التي تعتبر من كبريات القبائل الفاطمية بالمغرب الأوسط .[1]

وذكر بعض الجغرافيون أن اسمها اقترن بقبيلة اخرى zanagus و هي من أوفرها عدد و أكثرها سعة و انشار في كامل سهول و جبال المغرب حتى زعم البعض أنها تمثل ثلث البربر.[2]

فهم ينتسبون الى ولد صنهاج و أصل كلمة "صناك" بالصاد المشددة و الكاف القريبة من الجيم فلما عربتها العرب زادت لها بين النون و ألف فصارت الكلمة "صنهاج" ثم أضافوا لها تاء الجمع فتوحلت الى "صنهاجة" و يعتبر الصنهاجيون أقدم سكان هذه البلاد و لقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد الجذور الأولى لهذه القبيلة.

و يرجح بعض الباحثين أن تدخل صنهاجة في بلاد المغرب تعود جذوره الى أوائل القرن الثاني الهجري منتصف القرن الثامن الميلاد بدليل العثور على اسم مصال بن حماد منقوش على الزجاج و ذلك سنة 127 هـ -745م.

اذ تمكنت قبيلة صنهاجة التي استقرت في بلاد المغرب من تأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الزيرية ومن زعمائها مناد بن منقوش.[3]

حيث اشتهر بكثرة المال و الولد و حسن الضيافة لمن يمر به [4]

[1] المغرب الأوسط : وهو يمتد من مجرى نهر شلف حتى مجرى نهر يجري حاليا في شرق المملكة المغربية من الجنوب الشرقي الى الشمال الشرقي يسمى نهر الملوية و ينقسم تاريخيا الى قسمين شرقي و يسمى اقليم تاهرت و غربي يسمى اقليم تلمسان .أنظر : مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار.تر: سعد ،زغلول ، عبد الحميد ، دار شؤون الثقافية ، العاصمة .ص176.

[2] عبد الرحمان ، ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السطان الأكبر ، مرا: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1421 هـ 2000م ،ج 6 ،ص201.

[3] مناد بن منقوش : كان يحكم قسم من افريقيا المغرب باسم العباسيين و الأغالبة ، و يرجع نسبه الى قحطان و يرجع الى قبيلة تلكاتة.انظر : ابن خلدون ،العبر،ج6،ص203.

[4] ابن عذارى، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح: كولان . ليفي بروفنسال ،ط3.دار الثقافة ،لبنان .1401هـ-1983م،ص228.

و أول من ظهر من صنهاجة في المغرب الأوسط هو زيري بن مناد [1] و كان من أعظم ملوك البربر[2] الذي كان طفلا بهيا يلفت الأنظار بجمال الطلة وذكائه الحاد، فكانوا يسمونه السلطان، ولقد تحدثت الروايات عن شخصيته فيذكر النويري في أخبار زيري بن مناد قال: " وضعت زوجة مناد محلها فجاءها ذكرا فسماه زيري فخرج من أجمل مولود رآه الناس، ولذلك كان أولاده يضرب بجمالهم المثال في المغرب، لمل صار له من العمر عشر سنين كان من رآه يظن أنه ابن عشرين سنة لبهائه[3].

وفي سنة 324هـ – 935م، شرع في بناء مدينة أشير[4]

لتكون مركزا لنفوذه وتعزيز شوكته داخل قبيلة صنهاجة بمساعدة الخليفة الفاطمي القائم بالله[5]

حيث يذكر النويري " ولما نظر زيري إلى موقعها قال لأصحابه: هذا موضعكم الذي يصلح أن تسكنوه فعزم أيام القائم بأمر الله بن المهدي، فقال: وأمر وزيري بإحضار البنائين والتجارين واشترط أن يكون هذا المهندس يملك خبرة تفوق مهندسي إفريقية[6]

بعث برجل لم يكن بإفريقية أعلم منه وأعانه بعدة كثيرة من الحديد وغيره، وشرع زيري في البناء إلى أن كملت المدينة[7].

---

[1] زيري بن مناد : أول حكام صنهاجة بالمغرب الأوسط كان من موالي ملوك العبيديين وامتدت حكمه 26 سنة. انظر : رشيد ، بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حاضرتها ، ديوان المطبوعات الجامعية 1397-1977.ص98.

[2] ابن خلدون ، العبر،ج6ص203

[3] النويري ، شهاب الدين محمد، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، ج24، دار الكتب العلمية، القاهرة د.ت.

[4] أشير: اسم أطلق على المدينة التي استحدثها زيري بن مناد بالمغرب الأوسط وتعرف باسم يانشير باللهجة البربرية وتعني المخالب كتابة عن حصانتها وقد اسماها البعض أشير زيري، أنظر: رشيد بورينة، المرجع السابق، ص 117.

[5] القائم بالله: هو أبو قاسم محمد بن المهدي عبيد الله ولد بسلمية في محرم 270هـ- 883م، رحل مع أبيه بالمغرب، أنظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ألفاظ الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين السيال، ط1، ج1، القاهرة، 1419هـ- 1996م.

[6] إفريقية: مدينة كبيرة كان الرومان يسمونها ردوميت، وكما جار الخليفة الفاطمي المهدي الذي كان بالقيروان حصنها وسماها المهدية ولما قام بعض قراصنة صقلية بالإستيلاء عليها أطلقوا عليها إسم إفريقية، انظر: الرفيق القيرواني تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ- 1994م ص.ص 11.10.

[7] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 88

كان زيري قد شارك في دعم الدولة الفاطمية، كلما أصابها الفساد والاضطراب حيث وقعت فتنة بقيادة أبي يزيد مخلد الخارجي، الملقب بصاحب الحمار[1] الذي ينتسب إلى بني يفرن[2]، سنة 332هـ- 942م الذي أعلن عدائه للمذهب الشعبي، فكثر أتباعه واشتدت شوكته حيث تذكر العديد من الروايات أنه تعلم القرآن وكان مذهبه تكفير أهل الملة والخروج عن السلطان[3]، وقد خالط جماعة من النكارية[4] وبذلك انتصر الصنهاجيون خلال خلال هذه الثورة [5] وأبلوا بلاء حسنا من خلال مساندتهم الفعلية في فك الحصار عن المهدية بدعوة من الخليفة الفاطمي.

بعد وفات الخليفة الفاطمي القائم في رمضان 334هـ- 944م استخلفه ابن المنصور[6] الذي قويت شوكته وازداد عددها بانضمام قوة صنهاجة بقيادة زيري بن منار الذي سار في جيش عظيم وساهم في محاربة صاحب الحمار بجبل الكيانة[7] بالمسيلة، سنة 336هـ - 946م.

---

[1] صاحب الحمار: هو مخلد بن كيداد اليفرني أمه جارية صفراء اسمها سبيكة هي من بلاد السودان كان يتردد عليها والده للتجارة، أنظر: المقريزي، اتعاض الحنفاء، ص75.

[2] بني يفرن: ينتسبون إلى قبيلة زناتة، كانت مواطنهم الأصلية ما بين تلمسان وتيهرت، أما شعوبهم كثيرة منها. بنو واركو بنوا نجيصة.، أنظر: حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 1430هـ- 2013م، ص.ص 109.108.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص.ص 19.18.

[4] النكارية: فرقة من الإباضية الخوارج سموا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان ثالث حكام الدولة الرستمية، 171هـ- 787م، أنظر: المقريزي اتعاظ الحنفا، ص 78.

[5] قاد هذه الثورة أبو يزيد بن محمد بن كيداد، انطلقت من جبال أوراس ثم زحف إلى القيروان ودخلها في معركة الاربس وأغار منها على باجة وتونس وبها تحالف مع المالكية لمناجزة الشيعة الاسماعيلية، أنظر: المراكشي المصدر السابق، ج1، ص.ص 87.86.

[6] المنصور: أبو العباس بن اسماعيل بن أبي القاسم ولد بالمهدية ولي الحكم وله 31 سنة كان بطلا شجاعا بنى مدينة صبرة، أنظر: لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تح: أحمد المختار العبادي، دار الكتاب الدار البيضاء، 1283هـ- 1964م، ص.ص 55.54.

[7] الكيانة: اختلف المؤرخون في تحديد اسم الموقع الذي لجأ صاحب الحمار حيث أنه جبل الكيانة ويسمى كذلك قلعة كتامة، انظر: أبو الحسن علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرا: محمد يوسف الدقاق، ط1، ج7، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405هـ- 1987م، ص.ص 334.333.

الفصل الأول

لمحة تاريخية و جغرافية للقلعة وبجاية.

لقد شهد المغرب الإسلامي قيام العديد من الدول ذات كيانات سياسية، غير أن أول دولة عرفت بالمغرب الأوسط، ألا وهي الدولة الحمادية بالقلعة ثم بجاية خلال القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي والتي كان لها الاثر الكبير في بناء هذا الصرح الكبير الذي كان ذا أهمية في تاريخ المغرب الإسلامي من بداية قيامها حتى بعد سقوطها، ولقد برزت مدينة القلعة كعاصمة سياسية لهاته الدولة والتي تمتعت بأهمية عسكرية واستراتيجية في تلك الفترة.

التحديد الجغرافي والسياسي للقلعة:

لم تكن معالم حدود الدولة الحمادية مستقرة، حيث كانت تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها بلاد المغرب بنيت قلعة بني حماد كما يسميها البكري قلعة أبي الطويل عام 398هـ/ 1007م على منحدر وعر على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 36 كلم من المسيلة.[1]

شيدت قلعة بني حماد في سفح جبل المعاضيد، في الحدود الشمالية [2] ومن جهة أخرى يذكر ياقوت الحموي (ت: 626هـ/ 1228م)، في وصف مخالف للقلعة: " قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران ولها قلعة عظيمة على قمة جبل سمى تاقريوست[3] تنسبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية.....".[4]

ومن جهة الشرق يحيط بقلعة بني حماد وادي فرج لله النصر، ويحضنها من الناحية الغربية جبل قرين أو جبل الغوريين، وتطل من الناحية الجنوبية على شط الحضنة و سهوله الفسيحة.

[1] الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1402هـ- 1984م، ص 469.

[2] بورويبة ، رشيد، مدن مندثرة، تاهرت، سدراتة، أشير وقلعة بني حماد، ط2، دار النشر بن مرابط، وزارة الثقافة، الجزائر بدون سنة، ص 99.

[3] تاقربوست: تعني باللغة البربرية السرح، بمعنى المكان العالي.

[4] ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج 4، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1984م، ص 390.

شيدت مدينة القلعة على موقع حصين تحدثت عنه كتب الرحالة و الجغرافيين مثل أبي عبد الله البكري 487هـ/ 1094 م عاصر فترة تأسيسها و سجل ما لاحظة بقوله: "... و هي قلعة كبيرة ذات منفعةو حصانة".[1]

يرجع اختيار حماد لهذا المكان لأن المدينة كانت محمية طبيعيا بالجبال التي تشرف عليها من الشمال و للإكتفاء الاقتصاد ي الذي توفره لها السهول التي تمتد امامها الى الجنوب، و كذالك موقعها الجغرافي الذي يعد كعقدة مواصلات للمرور بين جبال الحضنة و البيبان من الشمال، و حوض الحضنة من الجنوب، و جبال الأوراس و التيطري من الغرب.[2]

تميزت القلعة بمزايا استراتيجية كبيرة من عاصمة الزيريين، و على قول بني حماد، بنيت قلعة بني حماد من طرف مسيح اسمه بونياش،[3] و يذكر ابن خلدون (ت: 808هـ/ 1406 م): " أن حماد نقل اليها أهل المسيلة و أهل حمزة (البويرة حاليا)، و خربهما و نقل جراوة من المغرب و انزلهم بها"

أما ابن الأثير (ت: 636هـ/ 1232 م) يذكر: "هي أحصن القلاع و اعلاها، لا ترام على رأس جبل شاهق، لا يكاد الطرف يحققها لعلوها".[4]

اضافة الى كونها ازدهرت ازدهارا كبيرا جعل منها قبلة لطلاب العلم، و بعد زحف عرب بني هلال على افريقية أصبحت محط سكان القيروان، فاضطر أهلها للتوجه الى القلعة هروبا من بطش بنو هلال فكان لهم الفضل في تطويرها.

---

[1] البكري ،ابو عبد الله ، المغرب في بلاد افريقية و المغرب، جزء من كتاب المسالك و الممالك، تح: فن لويفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج 2، ص 710.

[2] بوعزيز، يحي، موضوعات من تاريخ الجزائر و الغرب، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص 35.

[3] بورويبة، رشيد، مدن مندثرة، تاهرت، سدراتة، أشير و قلعة بني حماد، المرجع السابق، ص 102.

- بونياش: هو مملوك رومي ، أنظر: خالد، بلعربي، البنية المعمارية لقلعة بني حماد، مجلة كان التاريخية، ع: 5، الجزائر، 1426هـ/ 2004 م، ص. ص 28. 30.

[4] ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ، تح: نخبة من العلماء، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983 ، ج 7، ص 231.

وتعتبر مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا و أكثرها خلقا و اغزرها خيرا وأوسعها أمولا وأحسنها قصورا و مساكنا وقد استدار صورها بجبل ويسمى تقريوست وأعلى هذا الجبل متصل يبسط من الأرض.[1]

كانت مدينة القلعة مثلثة الشكل، تزينها عدة أبواب محصنة و تشمل على قصور عظيمة، رشيقة البنيان من بينها قصر البحر: يرسمه المائي البديع، غير أنه لم يبقى من كل ذلك الا الأطلال و الصومعة التي لا تزال قائمة، و قصر المنار بواجهته التي تشقها خطوط كبيرة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين.[2]

أصل التسمية والتخطيط لبناء القلعة:

يرجع اسم الدولة الحمادية إلى الزعيم السياسي " حماد بن بلكين بن زيري بن منقوش بن صنهاجالاصغر بن صنهاج الأكبر[3]" وبالتالي فإن أصل الحماديين يرجع إلى قبيلة صنهاجة التي تعتبر من أوفر قبائل البربر، حتي زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم لبربر[4]، أسس الجزائر والمدية وملیانة، وتولى الإمارة بالمغرب باسم الفاطميين، ابتداء من 972م، الذين دخلوا مصر، واستقروا بها وبعد وفاة بلكين في المعركة التي وقعت سنة 964م ولم يخلفه حماد على العرش الزيري، وإنما خلفه أحد إخوته وهو المنصور، الذي تولى الحكم إلى غاية سنة 996م، وكان حماد وفيا في خدمته للمنصور ثم لابنه باديس وساعد هذا الأخير في محاربته لزناتة.[5]

[1] أبو عبد الله الشريف ، الادريسي، المغرب العربي من نزهة المشتاق لإختراق الآفاق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص 09.
[2] صلاح مؤيد، العقبي، الفن المعماري الجزائري، سلسلة فن و ثقافة، وزارة الأخبار، الجزائر، جوان 1970، ص 28.
[3] صالح، يوسف بن قربة، المرجع نفسه، ص63.
[4] ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص309.
[5] رشيد، بورويبة، المرجع السابق، ص 96. 97.

إلا أن حماد بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب استطاع بتكليف من ابن أخيه باديس بن المنصور

(387هـ/ 997م)، من قهره لبطون قبائل زناتة حيث كان مؤتمر الصلح الذي تم في (408هـ/ 1017م) بمثابة تاريخ ميلاد الدولة الحمادية المستقلة في المغرب الأوسط.[1]

التخطيط لبناء القلعة:

لم يكن موقع القلعة مجهولا تماما بل إن لهذا الموقع امتدادا تاريخيا رشح لكي يكون المكان المختار للعاصمة الحمادية، كان هذا الموقع محتلا من قبل الرومان، كما تدل على ذلك حوائط ذات حجارة ضخمة تنتمي إلى الصور القديم وكما تدل على ذلك فسيفساء جميلة من الرخام عثر عليها "بيليه" خلال حفرياته سنة 1907م على بعد 700 متر جنوب المدينة، ومن المعتقد أن قلعة رومانية كانت تقوم في نفس موقع القلعة.

كانت تتوسط المدينة مربعة واقعة في سهل وتكون في أعلى الجبل منتشرة كالبرنس.[2]

ويؤكد ياقوت الحموي أن هذه القلعة ليس لها منظر ولا رواء حسن، وإنما ا ختطها حماد لتحصن والامتناع ولكي يخفي بها الحنطة والشعير وغير ذلك.[3]

كما يؤكد هذه الوظيفة فرديناند جوتييه ودائرة المعارف الإسلامية و(الدو بليه) حيث يوضحون أن حماد قد راع في اختبار مكان القلعة أن يؤدي وظيفة عسكرية تحميه من أعدائه القادمين من المغرب (زناتة) ومن أعدائه الذين يمكن ان يأتوا من الشرق (الزيريين).

[1] بدوي، يوسف علي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة 2010، ص117.
[2] عبد الحليم، عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، المرجع السابق، ص.ص 90. 91.
[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ص49.

لم تكن القلعة مجرد حصن عسكري بل من ناحية الموقع والاستحكامات وأسلوب البناء يحقق شروط حماية الدولة وهذا ما تم لقلعة بني حماد، بالرغم من تحقيقها لوظيفتها الأولى مع مراعات ان هذا الجانب الحضاري كان نتيجة من نتائج الأمن والسلام ساهمت في تحقيقها قلعة.[1]

كما تحدث ابن خلدون في تاريخه عن مراحل تطور هذه القلعة فأشار إلى ان حماد بن بلكين قد أ تم بنائها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة من الهجرة فشيد بناياتها وأصوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق.[2]

ويصفها أبو عبيد البكري الذي كان معاصرا لها ، " بأنها قلعة كبيرة ذات حصانة، و تمصرت عند خراب القيروان انتقل إليها أكثر أصول إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحلى الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[3]، تشبه في التحصين ما يحكى عن قلعة أنطاكيا."[4]

بنيت القلعة أو المدينة على نمط المدن العربية، محاطة بصور يبلغ طوله 07 كلم بالإضافة إلى وجود الأبراج القوية والعالية للمراقبة وبه ثلاث أبواب رئيسية واسعة منها باب الأقواس وباب جراوة وأهم مباني القلعة المسجد الكبير يبلغ ارتفاعه اكثر من 24متر.

تعد قلعة بني حماد من أعظم القلاع التي أنشأها المسلمون في تاريخهم[5]، وكان هذا الموقع في غاية المناعة لوقوعه على هضبة شديدة الإنحدار[6] ويرتبط بناء القلعة واختارها كعاصمة للحماديين ارتباطا وثيقا باستقلال الدولة الحمادية كدولة مستقبلية حيث ان بناءها ارتبط بالعقد السياسي بين باديس وعمه حماد حيث اراد ضد تحركات

[1] عبد الحليم، عويس، المرجع نفسه، ص94.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص361.

[3] البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، المصدر السابق، ص53.

[4] ياقوت ،الحموي، ج4، نفس المصدر، ص390.

[5] حسين، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس دار الرشاد، 1422هـ/ 2004م، ص173.

[6] محمود، السيد، تاريخ دول المغرب العربي(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا)، مكتبة شباب الجامعة، القاهرة 1424هـ/ 2006م، ص55.

القبائل الزناتيةضد الزيريين و هي في سند سامي العلوم صعب الارتقاء ولقد استدار صورها بجميع جبال (تيقريست) وأعلى هذا الجبل متصل بسيط من الأرض ومنه بنيت القلعة.[1]

و يذكر ابن حماد الذي بنى قلعة بني حماد و صورها هو مملوك نصراني يقال له "بونياش" ويقول دوماس لاتري: "اقتبل الملوك من بني حماد جالية وا فرة من نصارى البربر في عهد قريب من تأسيس القلعة".[2]

أما الأرض التي بنيت عليها القلعة هي عبارة عن مسطح كبير ذي هبوط منتظم بشكل إمتدادا بجبل تيقرست إلى سهول المسيلة، ويبلغ إرتفا عه على مستوى البحر 1000 متر[3]، وقلعة بني حماد من أكبر البلاد قطرا وأول من بني هذه القلعة " حماد بن بلكين "[4]، فجلب كل ما يحتاجه من صناع وبنائين ومحاربين، بنيت في حوالي ثلاث سنوات تأخذ مساحة من الأرض تمتد على 40 هكتار.[5]

لقد بني في القلعة قصر الملك والمنار والكواكب والسلام، اختطت بجبل كتامة وشيد من بنيانها وأسوارها، واستكثرت فيها من المساجد في العمارة واتسعت بالتمدن.[6]

وعليه تعتبر مدينة عريقة نافسة الكثير من المدن الإسلامية والقاهرة وبغداد وقرطبة وتقدمتها

القصور التي توزعت في مواضع متقاربة على سطح ساحة المدينة.

[1] الشريف ،الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر نفسه، ص 255.

[2] عثمان ، الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي، تق: أبو القاسم سعد الله و آخرون، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1421هـ/ 2003 م، ص 168.

[3] صالح، فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الإستقلال، 814ق.م، 1962م، ايدكوم للنشر والتوزيع، 1430هـ/ 2013م، ص98.

[4] محمود، مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأنظار، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406هـ/ 1988م ص.ص 81. 82.

[5] إسماعيل، العربي، القلعة عاصمة بني حماد الأولى، مجلة الثقافة، عدد30، 1395- 1976، ص26.

[6] صالح، يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص263.

ظروف نشأتها السياسية:

بعد انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى مصر، وتوليه بلكين بن زيري[1]، شؤون إفريقية (تونس) والمغرب كافة ما عدا طرابلس وصقلية وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة (361)[2]، نهاية الحكم العربي في بلدان المغرب، وحلت محله دول بربرية عربية، وكان فاتحة هذا العهد البربري بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، واستخلفه المعز على إفريقيا والمغرب (المغربين الأوسط والأدنى) وجعل خاتمته في يده.[3]

وبعد وفاة بلكين بن زيري خلفه ابنه المنصور والذي أبدى ميلا صريحا إلى الإنفصال الروحي والسياسي عن الدولة الفاطمية في مصر، معبرا بقوله: " للذين قدموا التهنئة بالإمارة " إن أبي وحدي كانا يأخذان الناس بالقهر، وأنا لا آخذ أحدا إلا بالإحسان ولا أشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى" وفي عهده عقد لأخيه حماد على أ شير والمسيلة، والتي استقل بها حماد في عهد باديس بن المنصور سنة 387 .

وفي سنة 395 استعان باديس بعمه حماد في حروبه ضد زناتة واشترط له حماد ولاية أشير والمغرب وكل بلد يفتحها، وقبل باديس شرطه، ولكن دون أن يخرج عن طاعته، وبذل حماد خلالها جهودا موفقة في حروبه ضد زناتة.[4]

[1] هو أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو جد باديس، ويسمى أيضا يوسف ولكن بلكين هو الأشهر، أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدزن سنة، م1 ص301.

[2] ابن أبي دينار،(أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي قاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286، ص74.

[3] عبد الحليم ، عويس ،المرجع السابق، ص35.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر مراجعة سهيل زكار، دار الفكر الإسلامي الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ج6، ص227.

ومن خلال الحروب التي خاضها حماد ضد الزناتة، ذاع صيته وظهرت شخصيته كرجل حرب وأصبح صاحب إقليم الزاب والمغرب الأوسط ولم يبقى له إلا أن يسعى لتأسيس عاصمة لمملكته، حتى يتسنى له أن يتبوأ مكانة الملوك، ولذا تم سنة (398)، حيث بنى قلعته المشهورة (قلعة بني حماد) بجبل كتامة.[1]

وتم بنائها ونمصرها على رأس المائة الرابعة، وشيد من بنيانها وأسوارها، واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن، ورحل إليها من الثغور والقا سية والبلد البعيد وطلاب العلم وأرباب الصنائع ، ولم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا عن الزاب والمغرب الأوسط ومتوليا حروب زناتة، وكان نزوله ببلد أشير والقلعة. [2]

و هكذا ظل حماد يفتتح الحصون والبلاد ويضمها إلى ولايته، حتى بلغ فتح تيجس وقسنطينة وغيرهما، فاستاء باديس من أمر عمه حماد وتعاظم شأنه وقوته من جهة، ومن جهة أخرى ضغط بعض الموالين لباديس من أقارب، وذلك من خلال ذاع صيتهم لمكانة حماد ورتبته، فأثار ذلك ضغينة باديس وأفسد العلاقة بينهما، فاضطر باديس حينها إلى طلب حماد للتنازل عما أقطع إليه من أملاك، وحسب ما يريده ابن الأثير: " إن هذه الأملاك تتمثل في: مدينة تيجس[3]، وقصر الإفريقي وقسنطينة.[4]

وطلب باديس أن يسلم عمل تيجس وقسنطينة لولده المعز، لما قلده الحاكم ولاية عهد ابنه، فأبى حماد وخالف دعوة باديس، وقتل الرافضة وأظهر السنة، ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة، وراجع دعوة آل

[1] الساحلي ،حمادي، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج1، ص144.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص.ص 226. 227.

[3] نفسه ،ص 227.

[4] ابن الأثيرالمصدر السابق، ج8، ص86.

العباس وذلك سنة 405، وزحف إلى باجة ودخلها بالسيف، ودسى إلى أهل تونس الثورة على المشاركة والرافضة فثاروا بهم، فناصبه باديس الحرب.

وخرج إليه فنزع عن حماد أصحابه مثل: بن أبي واليل أصحاب مغرة من الزناتة...الخ، ولحق حماد بشلف بني واليل وباديس في أتباعه حتى نزل مواطن، فحصر السرسو من بلاد الزناتة، ونزل إليه عطية بن داقلتن في قومه من بني توجين، لما كان حماد قتل أباه، وجاء على إثره ابن عمه بدر بن لقمان فوصلها باديس واستظهر بها على حماد.[1]

أدى الإختلاف الذي وقع بين باديس وعمه حماد، إلى إعلان الحرب عليه سنة ستة 406 وأعد له جيشا ضخما لمنازلته، وقصد به القلعة، حيث بها حماد، ودارت بينهما حروب طاحنة أسفرت في النهاية بهزيمة حماد بجوار قلعته، هزيمة نكراء، وفر حماد إلى قلعته محتميا بها، تاركا خيامه ومضاربه، وفي السنة نفسها توفي الأمير باديس وخلفه ابنه المعز.[2]

وبعد وفاة باديس بن المنصور خلفه ابنه المعز الزيري سنة 406 / 453 ولقد كانت ولايته بالمهدية[3]، وعمره يومئذ ثمانية أعوام، حيث يذكر صاحب البيان: " خرج المنصور ابن رشيق وقاضي القيروان والمنصورية، وشيوخها ومن كان بها من الصنهاجيين قاصدين أم ملال، لتقديم التعازي في وفاة أخيها باديس، أما معز فقد خرج بالبنود والطبول فنزل إليه الناس يهنئونه جميعا، وبايعوه وعززوه وإبتهلوا بالدعاء له.[4]

ويذكر أنه كان حسن السيرة .[5]

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص227.

[2] مولود، قايد: البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، تر: إبراهيم سعدي، منشورات ميموني، الروبية الجزائر، 2007، ص72.

[3] مدينة محدثة بساحل إفريقية بناها عبيد الله. الشيعي نسبة إليه، بنيت سنة ثلاثمائة وبينها وبين القيروان ستون ميلا، أنظر: البكري، وصف إفريقية، ص29.

[4] المراكشي، المصدر السابق ، ص267.

[5] مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ/ 1932م ص128.

تولى المعز مقاليد الحكم وفي هذه الفترة تحرك في سنة 408هـ- 1018م، بجيوشه الذي قاده كرامة ابن المنصور نحو حماد الذي استولى على أشير والمسيلة وحاصر باغلية[1] من ناحية قفصة فلما علم يزحف المعز نحوه اضطر إلى رفع الحصار عن المدينة.

فقد وقعت معركة عنيفة سنة 408، والتي أسفرت عن هزيمة حماد وإنسحابه إلى القلعة، فما هي إلا ساعة حتى إنهزم حماد وأصحابه، ووضع أصحاب المعز فيهم السيف، وغنموا مالهم من عدة ومال وغير ذلك فنادى المعز من اتى براسه فله اربعة دنانير فاصر إبراهيم أخو حماد ونجا هذا الأخير وقد أصابته الجراح .[2]

وفي ظل هذه التطورات الخطيرة بين العلاقات الزيرية الحمادية، دفعت حماد أن يلجأ لطلب الصلح والعفو حيث أدرك أن إعلان ومواصلة الثورات ضد أبناء عمومته غير مجدي لتحقيق الاستقلال وبناء الدولة وبذلك أراد أن يفتح صفحة جديدة يسودها الأمن والسكينة مع الدولة الزيرية.

أرسل حماد رسولا إ لى المعز بن باديس يسأله عن تصليح الأمور فقال له: " إن حماد يعتذر ويقر بذنبه ويطلب العفو، فرد عليه المعز بن باديس، إن كان حماد على ما قلته فليرسل لي إبنه القائد.[3]

عاد المعز بن باديس بعد انتصاره على حماد إلى مدينة المنصورية سنة 408 هـ ثم أطلق سراح إبراهيم أخو حماد حيث أحسن إليه ومنحه المال والدواب، فلما وصلت تلك الأخبار إلى القلعة الحمادية، جعل حماد يرسل ابنه القائد إلى المعز بن باديس، الذي استقبله استقبالا كبيرا وأكرمه وأحسن إليه.[4]

[1] وهي مدينة عظيمة جليلة فيها آثار الأول بما اثاروها انهار عامرة.ومسارح، وهي تحت جبل الأوراس، وهذا الجبل يشق بلاد المغرب وإفريقية أنظر: مؤلف مجهول عبد الحميد، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ، دار البيضاء، 1986، ص163.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص.ص 89. 90.

[3] الهادي روجي ،إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، تر: حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1410هـ/ 1998م، ص195.

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص81.

فعقد له المعز الصلح واستقل حماد بعمل المسيلة وطنبه ومقره ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة.[1]

وهكذا انقسمت دولة الصنهاجيين إلى دولتين: دولة آل منصور ابن بلكين أصحاب القيروان ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة ثم بجاية.[2]

أما تحديد وضبط تاريخ تأسيس الدولة الحمادية، فلقد اعتبر إبن خلدون أن سنة 395 هـ و 1005م ، هو التاريخ الصحيح لقيام الدولة الحمادية.

وينهي آخرون أن القيام الحقيقي للدولة لم يتم إلا سنة 408 هـ سنة 1010 م .[3]

وبذلك بدأ حماد ينظم مملكته ويعزز قواعدها حتى وافته المنية 419 هـ ، 1028 م ، أثناء نزهته خارج القلعة بتازمرت[4]، عقب مرض أصابه[5] إن مدة حكمه بكل ما لها وما عليها تعتبر حقيقة مرحلة التمكين للدولة وبناء قواعدها ومؤسساتها، فقد مهدت الطريق لخلفه وو لى القائد بن حماد، الذي وجد دولة ثابتة الأركان، قوية البنيان.

بجاية وظروف نشأتها:

التحديد الجغرافي لبجاية:

كانت بجاية اسم يطلق على المدينة الحالية في وقت غير معلوم وهي مشتقة من كلمة " صنداي " الفينيقية " أوسليا " bougie.[6]

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص187.

[2] السيد عبد العزيز، سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص651.

[3] عبد الحليم ،عويس، المصدر السابق، ص61.

[4] تقع على بعد ثمانون كلم شرق مدينة بجاية، أنظر: ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني، أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي وابراهيم النابي، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص75.

[5] صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، المصدر السابق، ص103.

[6] الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء والمائة السابعة ببجاية، تح: بونار رابح الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص04.

تقع بجاية في الشمال الشرقي من المغرب الأوسط شيدت على منحدر جبل قوراية الذي يرتفع عن سطح البحر بـ 600م، ما سمح لهم بالتحكم في السهل القريب منها حيث يصب بنهر الصومام.[1]

تقع على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط على خط طول 02° و 45 دقيقة شرقا وعلى دائرة عرض 36° و 45 دقيقة شمالا.[2]

وهي مدينة ساحلية بحرية تتوسط كل من إفريقية شرقا والمغرب غربا.

بنيت هذه المدينة على شكل مدرج فوق منحدرات وسفح جبل " أميسيون" الشاهق (غورايا حاليا) ، لذلك كانت تبدو حسب وصف صاحب الاستبصار معلقة من جبل قد دخل في البحر يسمى أمسيول.[3]

مما أضطر السلطان الحمادي الناصر بن علناس (454- 481هـ)، للبحث عن موضع جديد يبني عليه عاصمته الجديدة، فوق اختياره على موقع جبل بجاية الذي تحميه الجبال من تسلل الأعراب، فاستجلب الناصر العمال المهندسين والصناع ووسائل البناء من شتى انحاء البلاد ومن بعض الجمهوريات الإيطالية، وشرع في تخطيط وتشييد المدينة سنة 460هـ/ 1067م.[4]

وهذا ما عبر عنه ياقوت الحموي: ".... هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من إحتلها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود 457، بينها وبين جزيرة مزغنة (الجزائر العاصمة حاليا)، أربعة أيام كانت قديما ميناء فقط، ثم بنيت من لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال، كانت قاعدة ملك بني حماد...."[5]،

[1] اسماعيل ،العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص183.

[2] محمد ، بن عميرة. لطيفة ، بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد العثمانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص15.

[3] محمد، بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، المرجع نفسه، ص15.

[4] محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية، المرجع السابق، ص17.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، المصدر السابق، ص339.

أصبح يتردد عليها بين الفينة والأخرى وسماها " الناصرية"[1] وفي عام 481هـ/ 1067م، نقل ابنه السلطان المنصور عاصمته إلى بجاية الناصرية وزاد في بنائها وتحصينها وذاك عام(481هـ/ 498).

ولقد اختلف المؤرخون حول أسباب تأسيسها، فتأسيس بجاية لم يكن مجرد صدفة، فالبعض أجمع على أن بناء مدينة بجاية راجع إلى النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة، التي هزم فيها الناصر بن علناس سنة 457هـ/ 1067م، أمام أبناء عمومته الزيريين، وأيضا نتيجة لخيانة القبائل العربية له، كانت سببا في التفكير لبناء بجاية[2]، وخلال معركة بسبيبة[3]، اتفقت القبائل العربية التي كانت في صف الناصر الإنضمام إلى تميم بن معز فغدرت به، وهزم عسكر الناصر وفر بمجموعة من الفرسان باتجاه القلعة ولكنها طوقت وخربت فقام أهل المنطقة للهجرة والمغادرة من القلعة، وهذا أحزن عمه تميم، فلما عرف الناصر الخبر أرسل بوزيره لعمه الذي أرسل هو الآخر وزيره فعقد الصلح بينهم.

أما سبب الآخر في تأسيس بجاية مرتبط بقصة خيانة ابن البعبع رسول تميم بن المعز وتآمر مع الناصر، فإن الناصر كان قد ندم على تورطه في الحرب ضد بني عمومته، ومال إلى الصلح معهم .

كما أنها تتمتع بمكانة تجارية واقتصادية كبيرة بين دول المغرب، لوقوعها على البحر من جهة ومن جهة أخرى بها تنوع تضاريسي ساعد على ممارسته النشاط الزراعي، فهي تعتبر همزة وصل بين مختلف الاتجاهات الشمال والجنوب، والشرق والغرب، يصفها البكري فيقول: "....ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي الطويل وعلى هذا المرسى تلك الجبال.... فجزيرة جربة قبل مرسى بجاية....."[4]

[1] ابن خلدون، العبر، مج6، المصدر السابق، ص357.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص.ص 128. 129.

[3] هي مدينة قديمة البناء تقع بين القيروان وتبسة أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص206.

[4] أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص82.

فلقد كانت بجاية تستقطب لكثير من البلاد في المغرب الأوسط وذلك من خلال ما أو ضحه ياقوت الحموي: "... بينها وبين جزيرة مزغنة (الجزائر حاليا) أربعة أيام، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام "[1]، ومن بجاية إلى سطيف يومان، ومنها إلى باغاي[2] ثمانية أيام.

لم تقتصر أهميتها على البلدان الداخلية وحسب بل حتى أنها شملت دولا تحيط بها في وصف أبو الفدا لها: " يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة وعرض البحر بينهما ثلاث مجاري..."[3]، لقد كانت محطة أنظار لكثير من الرحالة ومصدر إلهام الشعراء الذين فتنوا بجمالها وخاصة مبانيها.

ولقد اختصت بجاية بمجموعة من المزايا دون غيرها، فكانت تتمتع بمنظر طبيعي خلاب وجو معتدل يلطف هواؤها جبالها، خاصة جبل قوراية الذي يحجب عنها الرياح الشمالية.[4]

كما أنها تعتبر من أقرب المواقع الساحلية لقلعة بني حماد حسب ما أورده البكري: " بأنها تمثل ساحل قلعة أبي الطويل ".[5]

التفتح على التيارات الخارجية والاتصال المباشر بمراكز الاقتصاد والحضارة في الحوض الغربي المتوسط، لا سيما منها الأندلس، إذ لا يفصلها مع طرطوشة من شبه الجزيرة الاندلسية إلا ثلاث مجاري[6].

[1] ياقوت، الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج1، ص339.

[2] هي مدينة قديمة عند جبل الأوراس سكنها خليط من البربر والعجم في بداية العهد الإسلامي غزاها البا بليون وخربت أنظر: اسماعيل، العربي، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977/ 1397هـ ص68.

[3] أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان، تح: رينور ودوسلان، دار الطباعة السلطانية، 1840، ص64.

[4] اسماعيل، العربي، دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، المرجع فسه، ص183.

[5] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية، مصدر سابق، ج2، ص82.

[6] أبو العباس، احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الإنشى، ج5، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، ص110.

الظروف السياسية لنشأتها:

تعود نشأت بجاية منذ القدم إلى الفينيقيين كانوا بحارة مهرة، اشتهروا بالملاحة وركوب البحر وعمدوا إلى تأسيس مراكز ومحطات تجارية في طريقهم البحري الرابط بيم مدينتي صور وقادش فانتبهوا لموقع بجاية الحصين وأنشأوا به مرفأ لهم ومدينة فينيقية عرفت باسم سالداي، ومنذ ذلك الوقت غدت حلقة وصل بين شرق البحر المتوسط وغربه ونقطة لتبادل السلع والبضائع التجارية التي اعتمد عليها الفينيقيون، ولا يوجد تاريخ محدد لظهور هذه المدينة على وجه التحديد، فقد أشارت أن ازدهار الحضارة الفينيقية في البحر المتوسط كان منذ حوالي ألف سنة قبل الميلاد.[1]

ثم دخلت في النفوذ الروماني بعد هزيمة يوغرطة سنة 104ق.م، فقامت بتدمير المدينة وإعادة بناء مستعمرة على يديها عرفت باسم سالداي (SALDAY) دائما.[2]

ظلت مدينة سالداي كسائر مدن إفريقيا الشمالية تحت النفوذ الروماني إلى غاية القرن الخامس ميلادي أخذت تتلاشى شيئا فشيئا منذ استلاء الوندال عليها سنة 430م وسميت في عهدهم غور (GOUR) أي الموقع الصخري.[3]

واحتلت بجاية بعدها على يد البيزنطيين الذين استمر حكمهم أكثر من قرن، حيث استطاعت الجيوش البيزنطية القضاء على آخر ملوكهم المعروف بـ جلمر ، (530- 534)، وبذلك دخلت سالداي تحت سلطة ونفوذ

[1] محمد الشريف، سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية، دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تق: محمد الامين بلغيث دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص13.

[2] البستاني، بطرس، بجاية كتاب دائرة المعارف، مج:5، مطبعة المعارف، بيروت، 1981، ص398.

[3] أحمد توفيق، المدني، كتاب الجزائر، ط3، دار المعارف، الجزائر، 1936، ص184.

البيزنطيين، وقدم المترجم الفرنسي " فيرو " معلومات غزيرة حول سلداي البيزنطية، وقدرت مساحتها حسبه بحوالي ثلاثة كيلومترات مربعة، يحيط بها سور قوي جعل منها مدينة جد محصنة.[1]

إلى أن دخلها العرب المسلمين خلال القرون الأولى الثلاثة للعهد الاسلامي غير أنها لم تلحظ قوة وتطورا بسبب زحف الأعراب ومهاجمتهم، وأصبحت هذه العاصمة مهددة بالإختناق الاقتصادي، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الحمادية بعد القلعة في 460هـ/ 1067م.[2]

ولها نهر في نهاية من الحسن، على شاطئيه البساتين و المنتزهات و يتعرج فيه أصحاب المراكب، ينسب الى البحر بشرقيها، و منبعه من جهة سقرا بصحراء الجنوب، و عرض البحر عند بجاية الى جهة طرطوشة.[3]

وعن مناخها فهو في الصيف معتدل، أما في الشتاء فهو متوسط، أما بالنسبة لدرجة الحرارة لا تفوق سبعة عشر درجة، هذا الى جانب خصوبة أراضيها و اعتدال جوها.[4]

تنفرد بجاية بمجموعة من المميزات و الخصائص الطبيعية في مختلف العناصر التضاريسية بها منحدر جبل شاهق، على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية متينة، و تمتد عرضا على خاصرة الجبل في مسافة لا يمكن تصورها، فالمدينة كلها عقبات، بحيث أن الماشي لا يستطيع خطوات دون أن يصعد أو ينزل، فالبلاد كلها جبال وعرة مكسوة بغابات تنتشر فيها القرود و الفهود.[5]

ومن هنا يتضح أن موقع بجاية الاستراتيجي جعل منها مدينة آمنة ذات شروط سياسية.

[1] محمد الشريف، سيدي موسى، المرجع السابق، ص.ص14. 15.

[2] أبي العباس، الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابقة في بجاية، المصدر السابق، ص5.

[3] ابن سعيد، المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط 1، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، 1970، ص 142.

[4] اسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص. ص 183- 184.

[5] حسن، الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ط 2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ص. ص 51- 51.

ومن جهة أخرى يقول الرحالة العبدري: "ثم وصلنا الى مدينة بجاية، مبدأ الاتفاق و النهاية و هي مدينة كبيرة حصينة، منيعة، شهيرة، برية بحرية، ، وثيقة البنيان، رفيعة البنيان، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر و بحر، مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب، و لا متسع فيها لطامع و ضار...".[1]

وعليه يتضح ان بجاية بعيدة كل البعد عن خطر العدو الخارجي و هجماته.

وزيره ابا بكر بن أبي الفتوح الذي أرسل رسول الى تميم يطلب الصلح و تحسين العلاقات ولقد قبل هذا الأخير العرض بموقف ايجابي، فأرسل أحد رجاله يدعى "محمد بن البعبع" الى ابن عمه الناصر بن علناس و وعده بالمساندة في امتلاك بلاد تميم، و اقترح عليه بناء بجاية (محمد البعبع) في موقعها الذي كان يمر بها.[2]

ويرى آخرون أن الناصر بن علناس الذي تولى الأمر بعد قتله للأمير بلكين بن حماد كره مجاورة بني حماد[3].

وثم أراء أخرى، ترى بعضها ان تأسيس بجاية يرجع الى الخوف من غزوات الهلاليين.[4]

بعد معركة نسبية استمر ملوك بني حماد في تشييد العمران مثل قصر السلام في القلعة، و كانت مدينة بجاية ضمن النشاط العادي للحماديين، و مال ملوك صنهاجة لبناء مدن عدة كأشير والجزائر ومنه تأسيس بجاية هو توسع سلطانهم.[5]

[1] محمد العبدري، البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، ط 1، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، بونة، الجزائر 1428/ 2007، ص 49.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، المصدر السابق، ص 374.

[3] لسان الدين، بن الخطيب، تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام، تح و تع: أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، القسم الثالث، الرباط، دار الكتب، 1964، ص 94.

[4] رابح، بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ط 3، دار الهدى، الجزائر، 1999، ص 146.

[5] رشيد ، بورويبة، المرجع نفسه، ص 68.

وما يوضحه الادريسي في قوله: "و اما مدينة بجاية في ذاتها فإنما عمرت بخراب القلعة"[1]

أي أن ميلاد بجاية كقاعدة سياسية كان يعني تدريجيا بداية تضاؤل أهمية القلعة في مجالها السياسي، فاستفادت بجاية من التطورات الجديدة، فأصبحت مركزا متعدد الجوانب لتتصدر في قمة الأحداث، اما نفوذ القلعة أصبح منحصرا[2].

تستمر بجاية فيما بعد بظهورها بمظهر المدينة الكبرى سواء كميناء تجاري أو كمركز ثقافي وديني، و تتبوأ منزلة مرموقة متكررة باعتبارها عاصمة من بين المدن المغربية الأخرى، حيث كانت في القرن الثاني عشر الى غاية القرن الخامس عشر قطبا من أقطاب البلاد الجزائرية الحالية، و هذا يدل على أن اختيار الناصر بن علناس كان صائبا[3].

ولقد كان مكان مدينة بجاية الى غاية القرن الرابع هجري/ العاشر الميلادي، عبارة عن مرسى صغير بين مدينتي بونة في الشرق، و جزائر بن مزغناي في الغرب، و تغير وضعها منذ أن استقر بها الحماديون و أسسوا فيها عاصمة لدولتهم عوض القلعة[4].

[1] محمد الشريف ، الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، المصدر السابق، ص 261.

[2] موسى، لقبال، مميزات بجاية و أهمية دورها في مسيرة التاريخ، مجلة الاصالة، العدد 19، 1974، ص. ص 5- 6.

[3] روبار: برنشفيك، تاريخ افريقية على العهد الحفصي من القرم 13 الى نهاية القرن 15، مج 1، ط 1، نقله الى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، 1988، ص 410.

[4] محمد ، بن عميرة. لطيفة ، بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص. ص 30- 31.

الفصل الثاني

عوامل ازدهار الحاضرتين

(قلعة بني حماد وبجاية)

قامت الدولة الحمادية، دولة مستقلة عن باقي الدول الأخرى، ولكنها عاشت عدة حروب وصراعات كانت كلها في إطار بعض القبائل البربرية والخارجية والقبائل العربية، كل هاته الظروف كانت سبب في ظهور حاضرة جديدة على البحر، وكان ظهور هاته الحاضرة على ساحل البحر أصبحت قبلة للمهاجرين، وبذلك أصبحت العاصمة الثانية و نقطة محل استقطاب للعلماء وغيرهم، الذين ساهموا في ازدهار بجاية بعد ما فقدت القلعة مكانتها السياسية والاقتصادية والتجارية، ولما ارتقت بجاية استقطبت العديد من السكان العرب الأوروبيون وحتى الأندلسيون وهاذا ساهم في ارتقاء هاذا الصرح الحضاري عن طريق عدة عوامل وجوانب.

1- العامل الجغرافي:

تقع قلعة بني حماد وبجاية في مركز استراتيجي هام جعل كل منهما يحظى بأهمية كبيرة خاصة في منطقة المغرب العربي ،فقلعة بني حماد بنيت على الطريق الرابط بين كل من إفريقية والمغرب الأقصى[1]، وقد بنيت على منحدر وعر فوق جبل تفرست المعرف حاليا بجبل المعاضيد على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على بعد مسافة 26كيلومترمن المسيلة[2]

فكانت القلعة محمية بجبال البابور ويفصلها عن البحر ومن وطأته، فهي تقع على حاشية المرتفعات المطلة على سهول الحضنة، ويحد القلعة شرقا وادي فرج الذي يجري من الشمال الى الجنوب اي واقع بين جبلين جبل الرحمة وجبل زروق الذي يمتد على ضفة الوادي اليسرى، وهاذا الوادي كان يسمى بوادي جراوة [3]، و في جهة الغرب

[1] جلول صلاح ، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-16هـ/11-12م،رسالة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية قسم الحضارة الإسلامية ،جامعة وهران ،2014-2015م،ص35 – ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج1،ص339

[2] محمد بن عبد المنعم ،الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ،ط2،دار مكتبة لبنان ،1402هـ/1984م،ص469.

[3] جراوة هي قبيلة بإفريقية كانت في العهد الإسلامي تسكن جبل الأوراس، للمزيد أنظر: ياقوت ، الحموي ،المصدر السابق،ج2،ص117.

تقع قمة الغوريين الشاهقة تبلغ 1190متر، اما جنوبا يقع المدخل الوحيد للمدينة وهو عبارة عن طريق كثير التعاريج، يساره وادي فرج[1].

اما عن أراضيها فهي عبارة عن مسطح ذي هبوط منتظم يشكل امتداد بجبل تقرست إلى سهول المسيلة، ويبلغ ارتفاعه على سطح البحر 1000متر[2]، يعتبر هاذا الموقع غاية في المناعة خاصة وأنه يقع على هضبة شديدة الانحدار[3] فهي مقصد تجاري عالمي تقصده كل القوافل .

ثانيا: بجاية فهي تتمتع بموقع استراتيجي هام وخاصة أنها تقع على الساحل وهاذا ما أورده ياقوت الحموي في كتابه: معجم البلدان "فهي مدينة على الساحل بين إفريقية والمغرب" تكون قريبة من إفريقية الزيرية وكفاصل من الفواصل الكثيرة بين إفريقية (تونس)والمغرب كما أنها تقع على جرف حجر متكئ من جهة الشمال على جبل يسمى ميسون صعب المرتفع ، ليس لها طريقا سهلا إلا من ناحية الغرب ، وباقي طرقها شرقا وجنوبا على أوعار، كما أنها تطل على خليج يحميها من ثوران البحر، كما أنها تتمتع بنهر كبير يسمى الوادي الكبير عليه بساتينها وقصورها يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم، وتمتاز بجاية إلى جانب الموقع بمناخ معتدل جدا في الصيف، ويكثر سقوط المطر الغزير في منطقتها لاسيما في الشتاء كما ان البحر البيض المتوسط يلطف دائما جوها[4].

بفضل موقعها الاستراتيجي ومناخها المعتدل أصبحت وجهة العلماء والأدباء والشعراء خاصة مع المغرب الإسلامي.

[1] الحميري ،،المصدر نفسه ، ص469 ص470.

[2] صالح ، فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال، 814 ق.م/1962، إدكوم للنشر والتوزيع، 1430هـ/2013م.

[3] الشريف، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1419هـ/2002م، ج1،ص255.

[4] عبد الحليم، عويس ، دولة بني حماد صفحة رابعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 99 ص101 ص 103.

2- العامل السياسي:

لقد كانت فترة الاستقرار التي شهدتها الحاضرة (قلعة بني حماد) خاصة في فترة حكم الأمراء الحماديون حيث تميزت بفترة ازدهار فكري وحضاري هاذا الواقع أتاح للحاضرتين بأن تلعب الدور الفعال من خلال استقطاب مختلف الأجناس والاستعانة بهم في بناء صرح الدولة، ولقد تجسد هاذا الاستقرار السياسي في إقامة الصلح الذي انعقد بين حماد والمعز، مما فتح باب الهجرة والاحتكاك، وهذا الصلح فتح باب الهجرة لكثير من العلماء خاصة القيروان واستقروا بالقلعة[1].

بالإضافة إلى هذا لم يشارك الحماديين في الحروب مع المسلمين ضد المسيحيين وذلك لبعدهم عن المنطقة جغرافيا وبالإضافة إلى ذلك أيضا الزواج السياسي، فعن أسلوب الاحتفال، فلقد دونت المصادر التاريخية عن تفاصيل زواج أخت المعز بن باديس أم العلو بعبد الله بن حماد سنة415هـ/1024م، بحيث أقيمت حفلة كبيرة في قول المراكشي: "وفي شهر رجب تزوجت السيدة أم العلو بنت نصير الدولة أخت شرف الدولة فلما كان يوم الأربعاء غرة شعبان المحرم، زين الديوان المعظم للسيدة الجليلة أم العلو، ودخل الناس خاصة وعامة، فنظروا من صنوف الجوهر والأملاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ولأسمع لأحد من الملوك قبله "[2].

ووصف هاذا الاحتفال وما تبعه فقال: "فبهر عيون الخلق حال ما عاينوه، و عظم ما شهدوه وحمل جميع ذلك إلى الموضع الذي ضرب فيه البنية والقباب وحمل المهر في عشرة أحمال على ابغل على كل جمل جارية حسنا وحملته مائة ألف دينار ، لم يرى لامرأة قط قبلها بإفريقية، وزفت العروس في يوم الخميس، ومضى بين يديها عبيد أخيها

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 204.

[2] المراكشي، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1،ص272-273.

شرف الدولة وأبيها نصير الدولة وجدها العزيز بالله فكان يوما صارت الركبان بمحاسن أثاره، وامتلأت البلدان بعجائب أخباره"[1].

ضف إلى ذلك السياسة التي اعتمدها الحماديون في البناء والتشييد والتعمير جعلا من الحاضرتين تضاهي باقي الحواضر من خلال الطراز المعماري وهذا يظهر جليًا في مدى تأثر الموحدين بالطراز المعماري الحمادي، هذا التطور الحضاري، عكس صورة الحاضرتين، والدور التي لعبته على مستوى الداخل والساحل، مما جعلها قبلة للعلماء والصناع والحرفيين، ولقد ساعد نجاح هاذا التنافس بالنسبة للحماديين رعايتهم وتشجيعهم للعلماء والمفكرين[2]، فقد كانوا يؤثرون العلماء على سائر الطبقات، ويقدمونهم في الدولة ويعودون عليهم بالعطاء جودًا حاتميا[3].

كما اهتم الناصر ابن علناس وإبنه المنصور اهتماما بليغا بالبناء والتشييد فقام بإحضار العمال والمهندسين للشروع في بناء حاضرة بجاية وكان ذلك سنة406هـ/1067م فبنى قصورها، وأصبحت مدينة بجاية مزدهرة خلال الحكم الحمادي ووصلت شهرتها إلى بلاد المشرق والمغرب وأصبحت محط استقطاب المهاجرين والعلماء من مختلف أقطار الدول الإسلامية، مما سمح لها بإقامة علاقات حتى مع الدول الأوروبية.[4]

انتهاج سياسة المكوس والمغارم، فقد كان يجمع الخراج ويرسل منه إلى دار الخلافة، وكانت ضرائب أخرى بجانب الخراج يؤديها التجار وأصحاب الحرف والجزية المفروضة على أهل الذمة، وهذه الجبايات كانت منظمة تنظيما

[1] صالح يوسف، بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص97.
[2] نفسه، ص ،ص97. 98.
[3] عبد الحليم، عويس ، دولة بني حماد، المرجع السابق،ص249.
[4] نفسه، ص240

دقيقا على ما يظهر، ويحرص عليها رجال متخصصون ويروي البكري أن أن المكوس التي تجنى عند باب من أبواب المنصورية كانت تبلغ ست وعشرين ألف درهم، فكانت البلاد تنعم في الرخاء.[1]

فقام الأمراء الحماديون بإسقاط هذه المكوس على سكان المسيلة وحمزة وقبيلة جراوة لأنهم قاموا بالبناء والتعمير، ونفس السياسة اتخذها الناصر ابن علناس بين مدينة بجاية وأسقط على الراغبين في الاستيطان بها المكوس والمغارم.[2]

وهاته السياسة ادت إلى تشجيع الوافدين إليها من كل حدب.

أما عن السكة الحمادية فلقد كان الحماديون يضربون نقودهم باسم الفاطميين والعباسيين واستعملوا العملة المرابطية والدليل المهندس الذي قام بإصلاح جامع سيدي مروان فعثر على مجموعة من النقود المرابطية [3]، فكان الحماديون يضربون نقودهم باسم الفاطميين وكانت العملة المتداولة في التبادل التجاري تتم بالنقود الفاطمية والعباسية.[4]

لقد شهدت كلا الحاضرتين استقرارا سياسيا زاهرا متكاملا .

3- العامل الاقتصادي:

تعتبر النشاطات الاقتصادية بمختلف أشكالها وأنواعها العمود الفقري الذي يجعل من الدولة الحمادية تبلغ قمة الازدهار لأنه ساهم في تحسين المستوى المعيشي للسكان فالاقتصاد هو عصب الدولة وركيزتها الأساسية.

[1] محمد ،الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق،ص184- الهادي روبي إدريس، الدولة الصنهاجية المرجع السابق،ص198،ص221.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص350.

[3] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص145.

[4] صالح يوسف، بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص246.

3-1 الزراعة:

لقد عرفت الزراعة تطورا كبيرا في الدولة الحمادية لاهتمامهم بها وإعطائها عناية كبيرة[1] يعرفها ابن منظور بقوله: "....الزراعة بفتح الزاي وتشديد الراء قيل هذه الأ رض التي تزرع والزرع نبات كل شيء يحرث....".[2]

أما عن ابن خلدون فيقول: "ان الزراعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب وهي صناعة تقوم على إثارة الأراضي وعلاج نباتها، وتعهد بالسقي والتنمية إلى بلوغ عامه ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وهي من أقدم الصنائع".[3]

تعددت ألوان النشاط الزراعي في المجتمع الحمادي وتعددت المحاصيل التي ينتجها وبها تحقق الاكتفاء الذاتي، كما تمكنت من تصدير بعض المحصولات، وكانت الأراضي المحيطة بالمدن والقرى الحمادية مجالا للنشاط الزراعي.[4]

فالفلاحة تعتبر إحدى أهم العوامل التي ساعدت على الاستقرار في القلعة مثلها مثل التجارة خاصة وأنها كانت تكثر فيها زراعة أنواع من الحبوب كالقمح والحنطة والشعير التي كانت تحفظ لمدة سنة أو سنتين دون أن تفسد عن طريق وضعها في مطامير تحت الأرض.[5]

إذن فالحبوب كانت وافرة بناحية قلعة بني حماد يقول الإدريسي: "إنها بلاد زرع وحسب وفلاحتها إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت..."أما بجاية فلقد احتلت المكانة الأولى لأكثر من نصف عمر الدولة، فلقد كان بها مواد ومزارع،

[1] عمار، عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002، ص62.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت،ج4، ص143.

[3] ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق،ج6،ص370.

[4] عبد الحليم، عويس ، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، 223.

[5] صالح يوسف ،بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص249.

وكانت الحنطة والشعير كثيرين بها "[1] ،يصف القلقشندي "أهم محاصيلها الزراعية قائلا: فمن حبوبها القمح والشعير، الحمص، الفول، العدس، الذرة، الجلبان"[2] فهي تعتمد على الأمطار في مجال سقيها.

ومن الفواكه التي وجدت بمدينة القلعة وبجاية نذكر بجاية: كانت بها فواكه مختلفة منها: الحلو والحامض كالسفرجل والتفاح والعنب إضافة إلى الخوخ والمشمش على أنواع متعددة، والتوت بنوعيه الأبيض والأسود، والزيتون والليمو ن، أما الموز فكان منعدم بها.[3]

ومن بين أهم الخضر المنتشرة ببجاية: الخيار واللفت والكرنب والخس وسائر البقول.[4]

كان بحاضرة بجاية خيرات متنوعة من المحاصيل الزراعية ما يكفي البلاد، يقول ابن حوقل:"....كان يكثر بها القمح والشعير والفواكه والأشجار المثمرة ما يكفي سكان البلاد"[5] ومن الفواكه المنتشرة بحاضرة القلعة نذكر: الجوز الذي كا ن مشهور أو الذي كان يحمل إلى قلعة بني حماد وإلى أكثر تلك البلاد.[6]

هاذا إلى جانب تربية الحيوانات والاعتناء بها، يقول الله تعالى: ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)**﴾.[7]

[1] عبد الحليم ، عو يس، نفسه، ص ص 221-222.

[2] القلقشندي ، ابي العباس أحمد، صبح الأعشى،ط1، مطبعة الأميرية، القاهرة1915 ،ج5 ،ص112.

[3] المصدر نفسه، ص112ص113.

[4] نفسه، ص ص 112 113.

[5] ابن حوقل ابي قاسم النسبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص. ص 78- 79.

[6] مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 112 ص 113.

[7] سورة النحل، الآية 5، 6

لقد لاقت تربية المواشي عناية خاصة من قبل الفلاحين في حاضرة القلعة خاصة البقر والغنم وهاذا ما أكده صاحب كتاب الاستبصار قائلا: "إن بلاد المغرب الأوسط في عهد الحماديين كانت كثيرة الغنم والماشية".[1]

أما بجاية فكانت تتوفر على الغزلان، ويوجد بها أنواع من الطيور والحمام والإوز وغيرها.[2]

ومن بين النباتات التي كانت بالحاضرتين ففي قلعة بني حماد كانت بها نباتات الكافورية أو حشيشة الحمى توجد بناحية سوق حمزة،[3] ونباتات بجبل ميسون وهي القنطورين الكبير و الافشين نبات ينبت بناحية القلعة.[4]

ولقد كان لصيد الأسماك عناية من طرف الحماديين أيضا، فنشاطه الاقتصادي غالبه فلاحي[5] في كلا الحاضرتين سواء القلعة أو بجاية كان جانبه الاقتصادي مزدهر.

3-2 التجارة:

تعتبر من أبرز الأنشطة الاقتصادية في الدولة الحمادية على الإطلاق، ومما ساعد على ازدهار التجارة الحمادية الظروف السياسة المحيطة بالدول المجاورة لهم كالزيريين والمرابطين، والموقع الذي يتمتعون به والشاطئ الطويل على البحر الأبيض والأسواق والاتصالات التجارية التي ينشط فيها كل هذه العوامل مكنتهم من مزاولة تجارة ناجحة سواء داخل المغرب أو خارجه،[6] فالتجارة هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء[7] فلقد شهدت حاضرة القلعة تطورا كبيرا خاصة الموقع الاستراتيجي الذي جعلها منطقة عبور تجاري مما سمح لهم

[1] الاستبصار، المصدر نفسه، ص 372.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر نفسه، ج5، ص 113.

[3] مختار،حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ط1،دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ج5، ص 52.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص63.

[5] الاستبصار، نفسه، ص 173.

[6] عبد الحليم ، عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 226.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 494.

بإقامة علاقات تجارية، وفي هاذا الصدد يذكر الادريسي: "إن أهلها مياسير تجار يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء وتجار الشرق تباع بها البضائع بالأموال المقنطرة".[1]

كانت تقام داخل الأسواق أين توجد التعميمات السكنية بكثرة وهناك أنواع منها: الأسواق التي تخرج منها الجيوش في غزواتها يقيم التجار محلاتهم قرب المعسكرات والأسواق الأسبوعية التي كانت منتشرة في المغرب[2] أما بجاية كان بها خمسة أسواق هم: الصوف و القيصرية وباب البحر والقراصنة وسويقة، وكان في المدينة العديد من الأسواق المختلفة مثل: أسواق بونة والغدير وغيرهم من المدن الحمادية.[3]

ومن أهم الطرق التجارية في بجاية ذكر الإدريسي: "ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد.[4] "أما عن الطريق من بجاية إلى قلعة بني حماد فهي كالآتي: من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد، إلى وادي وهت إلى حصن تاكلات وبه المنزل، وهو حصن منيع على شرف مطل على جبل بجاية، وبه سوق دائمة، وبه فواكه ولحوم كثيرة رخيصة، وبحصن تاكلات بساتين ومن حصن تاكلات إلى تادرقت إلى سوق الخميس إلى سوق حصن بكره،[5] ويحتويها الوادي الكبير الذي يجري مع أصلها وفيه يتم فيه البيع والشراء، ومنه إلى الطماطة ومنه إلى سوق الإثنين ومنه إلى حصن تافلكانت إلى قصر عطية.[6]

أما الطرق التجارية للقلعة فكانت ثلاث طرق تخرج من القلعة، إثنان إلى القيروان، والثالثة نحو تنس، الأولى: تمر القوافل التجارية بمقرة وطبنة ونقاوس وبلزمة وقبر مدفوس وباغية ومسكيانة ومجانة وقلعة الديك ووادي الرمل

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 260.

[2] الحميري، عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، 1975، ط2،1984، مكتبة لبنان القاهرة، د ت، ص 46.

[3] عزالدين موسى، أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 16، دار الشروق، القاهرة،1973 م ص292.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 260.

[5] الشريف ، الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراء مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره: هنري بيرس، ط1، الجزائر،1376هـ، 1957م، ص 63،64.

[6] محمود، مقدسي، نزهة النضار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص. ص 94. 95. للمزيد: أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، . ص 263. 264.

وسبيبة، والثاني: يمر بالغدير ودكامة، وتامسلت، وتباسلكي، وتوبوت، وتيجس وقصر الإفريقي، وتيفاش، وتادميت، وملاق، وأبة.

والثالث فهو طريق تنس يمر بالمسيلة ونهر جوزة وأشير وسوق هوارة وسوق كرام، على نهر شلف ومليانة والخضراء (عين الدفلى الحالية)، وبني واريفن، وعلى هذه الطرق سكنت بها قبائل عربية منها قبيلة هوارة.[1]

وعليه أصبحت التجارة في القلعة حركة مزدهرة إنتقل إليها كل الأصناف، وانتقل إليها أكثرها أهل إفريقية، والعديد من المناطق، في قول ابن الأعرابي النوادر التي نقلها القيروان قال: " وهي اليوم مقصد التجار، وبها تحل الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام ".[2]

أما خارجيا فلق أقام الحماديون صلات تجارية خاصة في سنة 457هـ/ 1065م، أصبحت القلعة مدينة تجارية عظيمة وافرة الخيرات قصدها التجار من المشرق إلى إفريقية إذ كان تجار مدينة القلعة متصلين بتجار إفريقية الغربية وتجار الصحراء والمشرق، حيث يذكر عبد الحليم عويس أن التجارة مع دول المشرق بدأت في مصر حيث توافد جيش مغربي إلى مصر مع معز لدين الله الفاطمي، والذي كان له أثر كبير في فتح نوافذ تجارية مع المشرق العربي بصفة عامة ومصر بصفة خاصة، ولقد كان للعلاقات مع المشرق أثر كبير في إدخال بعض النباتات الشرقية كالقطن والزعفران.[3]

[1] التجارة في عصر بني حماد (408- 547هـ/ 1017- 1152م): بحث مقدم من ريحاب محمد كمال محمد أحمد المغربي، إشراف: البيومي إسماعيل الشربيني، علاء طه رزق حسين، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمياط، مصر د.ت، ص. ص 222. 223.

[2] ياقوت، الحموي، المصدر السابق، ص 389. 390.

[3] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص227.

ولقد استمرت هاته العلاقات التجارية مع السودانيين حيث أنها تستورد الرقيق والذهب اللذان كانا يربطان بلاد السودان وإفريقية.[1]

وهكذا أصبحت الحركة التجارية في كلا الحاضرتين (قلعة بني حماد وبجاية)، تحظى بمكانة خاصة وبها أصبحت من أكثر بلدان المغرب غنى ورفاهية.

3- الصناعة:

الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة، فنقلها بالمباشرة، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن إستعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد الأخرى حتى ترسخ صورته.[2]

لقد حث القرآن الكريم على الصناعة والعمل لقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾.[3]

فإبن منظور يعرفها بقوله: " الصناعة حرفة الصانع وعمله، والصناعة ما تستصنع من أمر ورجل صنيع اليدين أي صانع حاذق....".[4]

[1] محمد، الطمار، المغرب الأوسط في ضل صنهاجة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1427هـ/ 2010م ص. ص 220. 221.
للمزيد: أنظر: خالدي، مسعودي، الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث للهجرين، مجلة كان التاريخية، دورة إلكترونية محكمة، العدد20، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2012، ص. ص 84. 85. 86.
[2] ابن خلدون، العبر، ج1، المصدر السابق، ص501.
[3] سورة التوبة الآية 105.
[4] إبن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص209.

لقد وجدت في المدن، الحمادية ألوانا متعددة من النشاط الزراعي، ولقد كان بالقلعة أنواع من الصناعات، ففيها لبابيد الطليقان جيدة غاية الجودة، وبها معامل لنسيج الأكسية القلعية مطرزة بالذهب والسجاد والملابس الفاخرة.[1]

يذكر عبد الرحمان الجيلالي: " وبها صناعة السجاجيدوالملابس الفاخرة".[2]

وصناعة الخزف والتحف الفنية، وكذا أوعية البلسم وزجاجات العطور وبعض القطاع المختلفة دقيقة الصنع، مما يوضح أن صناعة الزجاج والفخار كانت مزدهرة بالقلعة.[3]

إضافة إلى إستعمال الجلود في صناعة الأحذية المختلفة كانت بالقيروان ثم إنتقلت إلى القلعة في العهد الحمادي.[4]

أما بجاية فلقد كان بها نشاط صناعي كبير بها ثروة طبيعية كالحديد والخشب لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير الوجود وبها معادن الحديد الطيب موجود وممكنة.[5]

أما صناعة السفن كانت موجودة في بجاية وبونة ومرسى الخرز، يقول الإدريسي: " أنه كان ببجاية دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن ".[6]

وقامت صناعات كثيرة كالمصابيح وحاملات الشموع والأباريق ودلال القهوة وزينات الأبواب والأثاث ومقابض الأبواب ومطارقها[7]، إضافة إلى صناعة الأقمشة.[8]

---

[1] عبد الحليم، عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص226.

[2] عبد الرحمان ابن محمد، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384. 1165 ج1، ص385.

[3] عبد الحليم، عويس، نفسه، ص. ص 226- 227.

[4] إسماعيل، العربي، العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، عدد19، مارس أفريل، 1394. 1974، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص. ص 221- 222/ محمد بن عمر والطمار تاريخ الأدب الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص. ص 440- 441.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ص. ص 260. 261.

[6] رشيد، بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/ 1977م ص 136.

[7] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص226.

[8] عمار، عمورة، مرجع سابق، ص61.

لقد كانت بجاية تحتوي على الكثير من الحرفيين الذين يقومون بصناعة الأواني المنزلية كالصحون وتزيينها بنقوش وزخارف، إلى جانب صناعة المطاحن التي كانت تستعمل لطحن الحبوب سواء كانت قمحا أو شعيرا.[1]

كما أن بجاية كانت مشهورة بصناعة الشمع التي كانت تصنع من شمع النحل[2]، فكانت الفرع الضخم في هذه الصناعة، والعديد من الصناعات التي لا تعد ولا تحصى.

لقد كان النشاط الصناعي في كلا الحاضرتين القلعة وبجاية متطورا ومزدهرا، حيث أضحى بمثابة القاعدة الثابتة ضمن القوى الصناعية الهامة في البحر المتوسط.

4- العوامل الاجتماعية:

التركيب السكاني للقلعة الحمادية:

لا يمكن إهمال الخلفيات الثقافية العربية التي استقرت في المغرب كله، منذ الفتح العربي، وعلى امتداد الدولتين اللتين حكمتا الجزائر قبل العنصر البربري الصنهاجي: دولة بني رستم في تيهرت ودولة الفاطميين في المهدية.[3]

وحتى القرن 04هـ والبربر يتعلمون علوم الدين خاصة واللغة العربية عامة حتى صار الكثير من البرابرة يتزاحمون على تعلم لغة الضاد، وعليه أصبح علماء البربر يتنافسون مع فقهاءالعرب في قواعد الأصول ومبادئ علم الكلام والفقه.[4]

وعند ما اختط حماد بن بلكين قلعة بني حماد بدأ يتوافد إليها مختلف الأهالي والسكان، كأهل حمزة وقبيلة جراوة المغربية وسكان المسيلة.[5]

---

[1] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، مرجع سابق، ص274.

[2] أحمد، سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، د.ط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص109.

[3] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص247.

[4] عبد العزيز، بن عبد الله، تاريخ الحضارة المغربية، د.ط، دار السلمي، الدار البيضاء، 1962، ج2، ص. ص 22. 23.

[5] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص. ص 201. 202.

ومنه بدأ التنافس الثقافي قائما، وبجاية أصبحت عاصمة الرياضيات ومنها أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة وهندسة أو قليدس، ولقد ساعد هذا النجاح بالنسبة الحماديين وبدأوا بتشجيع العلماء والمفكرين

الذين بدورهم كانوا يؤثرون على سائر الطبقات ويقدمونهم في الدولة ويجودون عليهم بالعطاء جودا حاتميا.[1]

وكانوا هؤلاء حتى من أهل الصناع والفلاحين المهرة وهذا ما أكده ابن خلدون قائلا: " ورحل إليها من الثغور والقاسية والبلد البعيد طلاب العلم وأرباب ال صنائع الأسواق المعروفة والحرف والصنائع بها ".[2]

ولقد كان الناصر بن علناس أطول الملوك الحماديين باعا في هذا المضمار، فلقد كان يقصده الشعراء ويستجع الأدباء والشعراء.[3]

ولقد عمل على استقطاب سكان البادية لاسيما من منطقة زواوة.[4]

ولقد سكن مدينة القلعة مختلف العناصر سواء الطوائف المسيحية من بقايا الروم والرومان وأيضا النصارى فعند ما انتقل الملك الناصر إلى عاصمته الجديدة انتقل الكثير من السكان ومن بينهم النصارى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العلاقات الودية التي كانت بين المسلمين والمسيحيين وعلى تسامح ملوك بني حماد الدين وكان يعم حتى اليهود فكانوا يعيشون مطمئنين في ظل هده الدولة الواعية.

هذا إضافة إلى الشيعيين والخوارج[5]، أما المذهب المالكي هو المذهب السائد لدى المغاربة.

[1] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص249.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص202.

[3] لسان الدين، ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط الجزء الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح و تع: احمد مختار العبادي، محمد إبراهيم، الكتاني، د.ط، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص. ص 97. 99.

[4] ابن خلدون، نفسه، ص150.

[5] محمد، الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق، ص. ص 205. 206. 207.

2- عامل الهجرة:

الهجرة معناه انتقال السكان من منطقة إلى منطقة أخرى، إما الحروب أو يخضع الطرف الآخر للطرد أو قصد طلب العلم وطلب الأمن تحت ضل الدولة، خاصة قلعة بني حماد التي كانت تحظ بأهمية اقتصادية كبيرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي تعتبر مركزا تجاريا هاما يستقطب القوافل التجارية خاصة من الصحراء وبلاد السودان، أما التجارة لحاضرة القلعة حسب الكتب الجغرافية، ميسوري الحال بسبب سلع الغرب والجنوب، أما في القرن 15 أصبحت القلعة تحظ بثروة عظيمة جعلها العاصمة الثرية، مما جعل عدد التجار في القلعة بعدد كبير، فكانوا يقيمون بالمدينة ويتعاملون بالتجارة في الأسواق وفي الأحياء والانتقال إلى القرى المجاورة لشراء المنتوج الفلاحي.[1]

ومن أهم الهجرات: قيام القبائل الهلالية بتخريب القيروان، فقام القرويين بالهجرة إلى قلعة بني حماد للأمان ودليل ذلك ذكر البكري أنه انتقل إلى القلعة بعد الغزو الهلالي للقيروان أكثر أهل إفريقية.[2]

ورحل إليها العديد من علماء إفريقية، كأبي بكر المعروف بالدبياجي، أما المهاجرين القادمين من القيروان ابن النحوي وابن أبي بكر القيرواني.[3]

ولقد تلت هجرة القيروانيين هجرة أخرى كانت على الأندلس على إثر قيام البربر فيها بعدة فتن قضت على الزهراء والزاهرة وشتت القرطبيين بالخصوص، فهاجر الكثير منهم إلى ا لمغرب الأوسط وبجاية بالذات.

وقد خلع يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف عن ممالكهم، ومنهم أبو محمد عبد الله بن المعتصم فارتحل هذا الأمير بأهله وماله من الأندلس إلى المغرب، فنزل على المنصور ملك بجاية فأكرمه، أما الهجرة الثالثة فكانت من صقلية

[1] عبد العزيز، فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، ملتقى دولي الأول حول قلعة بني حماد، المعاضيد، المسيلة، 1987، ص6/ ص. ص 76. 77.

[2] البكري، المسالك والممالك، المصدر السابق، ص389.

[3] عبد العزيز، فيلالي، المرجع نفسه، ص81.

حيث تسلط عليها النورماند، فقد حينئذ المسلمون سلطانهم السياسي في تلك الربوع وبدؤوا يغادرون جزيرة صقلية جماعات وأفرادا كلما وجدوا للخروج سبيلا، فلم يبقى منهم هناك إلا الأقل.[1]

ولقد نبغ من هؤلاء ابن حمديس لم يستطع البقاء تحت حكم المسيحيين، فقصد الأندلس واتصل بأمير اشبيلة المعتمد بن عباد فمدحه ونال جوائزه وعاش في ضلاله إلى أن إعتقل المعتمد وذهبوا به إلى إغمات بالمغرب الأقصى فتبعه ابن حمديس، ثم توجه إلى المهدية عاصمة إفريقية ومن ثم دخل المغرب الأوسط وواصل طريقه إلى العاصمة، واستقبله المنصور بحفاوة.[2]

وبعد انهزام الناصر ابن علناس في موقعة سبيبة، تعرضت القلعة للتخريب من طرف الهلاليين الذين نهبوا معسكر الناصر ولم تكتفي بهذا بل حتى أنها أعقبته إثر هزيمته وفر إلى قسنطينة، ثم إلى القلعة[3]، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "....نجا إلى قسنطينة في أتباعه ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا بنيانها....".[4]

وهذا انعكس بالسلب على مختلف القطاعات، سواء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وحتى ثقافية، ومن خلفها دولة بني حماد التي تعرضت للنهب والخراب ومنها:

أ– سياسيا:

لقد استفادت القلعة من الأوضاع المتدهورة لمنطقة المغرب الأدنى بعد خراب أغلب مدنها في كل جوانبه، سواء سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو حتى ثقافيا، فاضطر الكثير من العلماء والتجار للرحيل إلى مدينة القلعة،

[1] محمد، الطمار، المغرب في ضل صنهاجة، ص. ص 208. 209.

[2] نفسه، ص211.

[3] رشيد، بورويبة، الدولة الحمادية، المرجع السابق، ص65.

[4] حسين، مؤنس، تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412/ 1992، ج1، ص262.

كما ذكرنا سابقا لطلب السلام والأمان، ولكن ما حققته القلعة من هاته الاستفادة لم يدم طويلا حتى أصابها ما أصاب المدن المجاورة لها من مدن المغرب الأدنى بسبب الهلاليين.

فلحقوا بالقلعة ونازلوها وخربوا جناياتها، وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة فخربوها، وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل، والقرى والضياع والمدن، فتركوها قاعا صفصفا.[1]

أفقر من بلاد الجن ، واحتطبوا الشجر، وأظهروا في الأرض الفساد، وعليه قام ملوك إفريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار، ولكن ملكوا عليهم الضواحي يتخيفون جوانبهم، ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم.

ولم يزل هذا دأبهم فقام الناصر بن علناس سكن القلعة، فاختط بالساحل مدينة بجاية ونقل إليها ذخيرته، وأعدها لنزله، وتركها كذلك المنصور ابنه من بعده، فرارا من ظلم هذا الجيل وفسادهم بالضواحي، إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم، فاستقروا بها بعد أن تركوا القلعة.[2]

وفي عام 460هـ/ 1067م، قام الناصر بن علناس ببناء بجاية واجتذب إليها عدد كبير من السكان.

وفي سنة 461هـ/ 1068م، إنتقل إليها الناصر وبدأ يقوم بعملية تحضير شاملة لها، فأنشأ بها دار للصناعة والأساطيل والمراكب، وإنشاء السفن والحرابي، حتى صارت بمثابة عين بني حماد، ونسقها تنسيقا، بديعا حتى أنه استغل النهر القريب منها، وأحاطه بالكثير من البساتين والجنات، وصنع عليه بواعير تسقى من النهر، واستكثر بها القصور، فجعل مدينة بجاية شبيهة بالأحياء الراقية بالأندلس.[3]

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص27.
[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص. ص 27. 28.
[3] عبد الحليم، عويس، دولة بني حماد، المرجع السابق، ص. ص 103. 104.

ومدينة بجاية وإن عمرت فعمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين.[1]

ب- اقتصاديا واجتماعيا:

لقد نتج عن تخريب الهلاليين للبلاد، قيام فترة من الاضطرابات خاصة الاضطراب الاقتصادي.[2]

ومن نتائج هذا الغزو الهلالي إلحاق الضرر بالنسبة الاقتصادية، المدن، ثم القرى والبوادي فخربوا مزارعها وسيطروا على الأراضي الزراعية وتملكوها، مما أدى سلبا على سكان الحاضرة في قلة المحصول خاصة وإن معظمهم قد هاجروا إليها واحتموا بها (القلعة).

فعم الغلاء ونقص الإنتاج هذا العامل أدى بالسلب على الدولة، فضعفت وانتشر فيها المجاعات والقحط، وكثرت فيها الأمراض، وعلى إثر هذا الاضطراب قام التجار بدفع ثرواتهم لشراء السلم والأمن حتى أنهم دفعوا لذلك محاصيلهم الزراعية[3]، ولكن هذا كله لم يفي بالغرض فقاموا بالبديل، تغيير قوافل التجارية ومسالكهاالاتجاه بها إلى المناطق التي يسود بها الأمن، وعليه باتت تجارة قلعة بني حماد في منطقة المغرب الأوسط حديث الماضي.[4]

ج- ثقافيا:

من عوامل ازدهار القلعة وتطورها هو العامل الثقافي فالتخريب الذي قام به الهلاليون لم يمس هذا الجانب، بل العكس استفادة القلعة من وضع القيروان فهاجر إليها معظم العلماء الذين ساهموا في رقي الحياة الثقافية لهذه

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص261.

[2] عبد العزيز، سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص587.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص374.

[4] عبد الحميد، خالدي، الوجود الهلالي السلبي في الجزائر، د.ط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. ص 190. 191. 192.

المدينة، في قول ابن خلدون: " ولقد أصبحت مقصدا للعلماء الذين رحلوا إليها من الثغور القا سية والبلدان البعيدة وكذلك أرباب الصنائع، لنفاق أسواق المعارف والتجارة والصنائع بها".[1]

وبعد الاضطرابات التي ألحقها الهلاليون بالقلعة دفع بمعظم العلماء الانتقال من القلعة إلى بجاية لأن القلعة انتشرت بها الفوضى.

وعليه بدأت القلعة تفقد إشعاعها العلمي والثقافي بعد أن فقدت مكانتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحافظة على جزء من الجانب الفكري عندما أمدت بجاية برجال العلم والثقافة الذين ساهموا بشكل كبير في بناء الحياة العلمية وهو ما جعلها في المراتب الأولى ثقافيا وعلميا على مر التاريخ، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة دولة بني حماد، وأصبح لحاضرة القلعة دور ثانوي خاصة في المجال السياسي لهذه الدولة.[2]

وصارت القلعة ثم بجاية وريثة لأمجاد القيروان.

لم تفقد قلعة بني حماد ثقافتها بشكل نهائي رغم ضغط القبائل الهلالية لها، وعليه قام الناصر بإنشاء عاصمة جديدة لها، فلقد كانت الثقافة العربية جزء من الإسلام الذي هو عقيدة الأمة، وأن تاريخ الأمة منذ أربعة قرون هو تاريخ هذه الثقافة، وأن المغرب من كل جوانبه بثقافات عربية، إن في الأندلس، وإن في المشرق، مما يجعل الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة الأم في الدولة الحمادية، وهي مناط عناية الدولة واتجاهها الرسمي، واعتبرت لسان الأدب والعلم وعنوان الثقافة، وعند منتصف القرن 5هـ حدث ما هو معروف من زحف القبائل العربية على المغرب، ومهما يكن من الآثار السلبية التي خلفتها هذه القبائل في الحياة الاقتصادية والسياسية للمغرب العربي، فضلا عن الأثر الثقافي الذي تركته هذه الحملة بالنسبة للزيريين، فإنها لم تنجح في أن تحدث آثارها تلك في الجزائر الحمادية، بل إنها كانت أكبر عامل في تخريب الثقافة الجزائرية بصفة خاصة والمغربية بصفة عامة، فلقد أثرت لغة

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق ص227.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، المصدر السابق، ص. ص 161. 162.

التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي في الأرياف والمدن أيضا، وعمل الحماديون على نشر العربية وعلى تعليم القبائل وأصبحت الثقافة العربية ثقافة تعليم بل حتى تعدت ذلك إلى ثقافة حياة ومعايشة.[1]

استمرت الثقافة في حاضرة قلعة بني حماد واستمر قوم الطلبة إليها للعلم والتدريس فأنجبت القلعة خيرة العلماء واستمر عطائها العلمي والثقافي إلى غاية سقوطها على يد الموحدين.[2]

ولقد كان الدور السياسي والاقتصادي الذي لعبته هذه المدينة وحتى الثقافي عهد الدولة الحمادية قد تراجع بعد انتقال عاصمة الحماديين السياسية إلى مدينة بجاية.

وبدأ التنافس الثقافي ينتشر ومما ساعد هذا التنافس بالنسبة للحماديين هو تشجيع العلماء والمفكرين، فقد كانوا يغترون العلماء على سائر الطبقات، وكان الناصر بن علناس يشجع على الثقافة وروح النشاط الثقافي التي تعتبر ظاهرة عامة في العالم الإسلامي.[3]

ولقد كانت القلعة قبل أن تعمر بجاية دار الملك بني حماد، وفيما كانت ذخائرهم مدخرة، وجميع أموالهم مختزنة ودار لأسلحتهم، ومحصولاتهم الزراعية كالحنطةوالشعير والحبوب وبها من الفواكه والنعم ولحومها كثيرة وكانت أحوالها صالحة .[4]

لقد كانت كل من الحاضرتين خاصة مدينة القلعة وأهلها بحال حسن فلم تتضرر من الغزو الهلالي، في قول الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق: " ومدينة بجاية في ذاتها فإنما عمرت بخراب القلعة".[5]

[1] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص. ص 247. 248.
[2] علاوة، عمارة، المرجع السابق، ص34.
[3] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص. ص 250. 251.
[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، المصدر السابق، ص107.
[5] نفسه، ص. ص 116. 117.

بالرغم من الاضطرابات التي أحدثها الهلاليون، والتي انعكس سلبا على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وانتقال إشعاعها العلمي إلى حاضرة بجاية التي استفادت من تخريب القلعة كما القلعة استفادت من تخريب الهلاليون للقيروان.

ستبقى حاضرة القلعة أكبر حافز للعلم، يشهد لها التاريخ أولا ثم حاضرة بجاية ثانيا.

الفصل الثالث

تأثير قلعة بني حماد على بجاية

لقد أصبحت الحياة العلمية في بجاية بمثابة المركز الجديد للإشعاع العلمي والثقافي والفكري في المغرب الأوسط، خاصة وأنها تطل على البحر، حيث أنها لعبت دورا كبيرا في تثبيت العلوم.

ومنه بدأ العلماء والمفكرون يوجهون وجوههم بشطرها، لأن المغرب كانت في حالة فوضى جراء ما تركه بنو هلال من عمليات تخريب، فتركها معظم العلماء، واتجهوا صوب حاضرة بجاية الحمادية التي كان لها دور كبير في إرساء دعائم بعد ما أصبحت القلعة الحمادية دور ثانوي.

1- تأثير القلعة على بجاية من الناحية العلمية:

المؤسسات التعليمية:

لقد أوصى الدين الإسلامي الحنيف على العلم والتعلم، فالعلم نور يستضاء به، ما أحبه إلا عالم، فهو بذلك دعوة إلهية.

لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾.[1]، وأيضا إهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعلم، وحث المسلمين بضرورة التمسك به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله، كمقلد الخنازير، الجوهر واللؤلؤ والذهب".[2]

فالعلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يرثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر.

[1] سورة فاطر، الآية 28.

[2] محمد، بن يزيد القروينى، الحافظ أبي عبد الله، سنن ابن ماجة، 207/ 275هـ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1918، ج1، ص81.

فلقد اهتم المسلمين بالعلم، وحرصوا عليه أشد الحرص لأن بالعلم تنهض الأمم ويصلح المجتمع لقول أحد العلماء: " لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه "، ومن المراكز الدينية التي يدرس فيها العلم، كانت المساجد والزوايا، والكتاتيب وبيوت العلماء وغيرها، وحظيت باهتمام كبير من طرف القلعة الحمادية ومنه تأثرت بها حاضرة بجاية.

أ- المساجد:

من أهم المؤسسات التي كان لها الأثر الجلي في القلعة الحمادية فامتدت موجة تأثيره الى الحاضرة الثانية بجاية فالمسجد النواة الأولى بأي دولة مسلمة كانت، فهو يعتبر أحد أقدم المؤسسات التعليمية في الد ولة الاسلامية، العلم يرتبط ارتباطا وثيقا به، ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بأمر من أمور الدين، فالمسجد قبل كل شيء مكان للعبادة، و لكنه كان الى جانب ذلك معهدا لتعليم القرآن الكريم و احكامه و لدراسة الحديث النبوي الشريف كذلك.[1]

كما ان المسجد قد قان بدور أكبر من ذلك، فلم يكن مجرد مكان لأداء الفروض، بل كان مقرا للقضاء، و موطن بيت المال و غير ذلك.[2]

له ثناء عظيم لقوله عز و جل: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾.[3]

[1] المقريزي، الخطط، ج 4، ص 326. أحمد، أمين، ضحى الاسلام، التهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت، د.ط، ج 2، ص. ص 53.54.
[2] عبد الحميد، عيسى محمد، تاريخ التعليم في الأندلس، ط 1، دار الفكر العربي، 1972، ص 266.
[3] سورة التوبة، الآية 19.

فكل موضع يتعبد فيه، فهو مسجد، ولقد ورد في حديث الرسول صل الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا".[1]

وان دراسة الفقه قد غدى من أفضل العبادات[2] والى جانب الفقه فلقد كانت تدرس في المساجد مختلف العلوم الاسلامية الشرعية و المساندة.[3]

لقد أولت الدولة الحمادية خاصة في القلعة اهتماما كبيرا بالمساجد وجعلت له عناية خاصة في مقدمة التطور، وهذا الاهتمام انعكس كله على الحاضرة الثانية بجاية بالإيجاب، فتأثرت بمساجد القلعة خاصة ميزة الطراز المعماري القلعي للمساجد، حتى أن الدولة الموحدية تأثرت بهذه الميزة.

وهذا التأثير نتج عنه تحصيل علمي كبير في بجاية ومنه وجدت مساجد ذات نمطين: (عامة، غير تابعة للدولة يتم بناؤها من طرف الأهالي و الأثرياء ومساجد خاصته يتم بناؤها من طرف الدولة).[4]

ضف الى ذلك ان أمرائها كانوا أحرص الناس على العمران والمساجد، ومن أهم هذه المساجد نذكر: الجامع الأعظم الذي شيده المنصور بن الناصر الحمادي (498 هـ/ 1088- 1104م)، بني بجانب قصر الؤلؤة، فسمي أيضا بالمسجد المنصوري.[5]

[1] أبو الحسن مسلم بن الحجاج، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط 5، دار المفتي للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/ 1998 م، ص 265.

[2] أبو الحسن علي بن حبيب البصري، الماوردي، أدب الدنيا و الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987 م، ص 26.

[3] السامرائي، حسام، المدرسة مع التركيز على النظاميات، بحث مطبوع عن أبحاث الفكر التربوي في الاسلام، المجمع المالكي لبحوث الحضارة الاسلامية، 1409هـ، ص 02.

[4] جلول، صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجل العلمي والاجتماعي، 5- 6 هـ/ 1211 م، المرجع السابق، ص 58.

[5] بورويبة، رشيد، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ط 1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص.ص 208. 209.

ولها جامع عجيب منفرد في حسنه، غريب، من أشهر الجوامع المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، فهو غاية في الفرجة والأنسة، ينشرح الصدر لرؤيته، وترتاح النفس له، وأهلها يواظبون الصلاة فيه مواظبة رعاية، وله في القيام به عناية، فهو بهم مأهول عامر.[1]

ولم يختلف المسجد الجامع ببجاية عن سائر المساجد الجامعة ببلاد المغرب الاسلامي، حيث ظهرت معظم المواصفات المعمارية لمساجد الحواضر الاسلامية (كبريات) والتي هي مساجد جامعة بها محارب وأعمدة وقباب، فلقد ظل مركزا للعلماء ومقصدا لطلاب العلم.[2]

أما عن جامع القصبة الذي كان موجودا في القرن 6 هـ/ 12 م، يتربع على مساحة قدرها 23 متر مربع، وهو مستطيل الشكل، له أربع واجهات ويختلف عن المسجد الجامع في كونه لا يحتوي على أروقة جانبية.[3]

ب– الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من المؤسسات التعليمية الهامة في القلعة، ومنه تأثرت جاية بهاته المؤسسة الثقافية والتعليمية خاصة وأنها ساهمت في تحفيظ القرآن الكريم للأولاد الصغار[4] ودروس الدعم .

فالكتاتيب جمع كتاب، وهو لفظ مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وقد يقال له: المكتب، وهو موضع التعليم.[5]

التعليم.[5]

ويعرفها عبد الله علام: " أنها أماكن المرحلة الأولى التي يتعلم فيها الصبية المسلمون الكتابة ويأخذون ذلك في حفظ القرآن الكريم، ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة، التي تهيئهم لتلقي المعارف بالمساجد.[1]

---

[1] محمد، العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، د.ط، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/ 2017، ص.ص 49. 50.

[2] عزروق، عبد الكريم، المعالم الأثرية الاسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، احصاء وجرد وتحليل مؤسسة الضحى، ط 1، 1434هـ/ 2013 م، ص.ص 23. 24.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

[4] عبد العزيز، محمد عادل، التربية الاسلامية في المغرب أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987، ص 26.

[5] ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج3، ص699.

كان ظهورها مع الرسالة المحمدية ويطلق عليها بالمغرب الأوسط بالمسيد[2] تأثرت بجاية بكتاتيب القلعة لأنها كانت تحوي على مجموعة كبيرة منها، حيث أنها اعتبرت أماكن لإقامة الصلاة، ومن أشهر المعلمين في القلعة: "أبو حفص الغديري" فكان التدريس فيها بعد أداء صلاة الفجر حاملين معهم مصحف قرآني، ولوح مكون من الخشب بالإضافة الى الحبر.[3]

ولقد كان للكتاتيب دور كبير في التثقيف لقول ابن خلدون: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم و مسائلةو اختلاف حملة القرآن لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجلس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب ...".[4]

تاثرت بجاية بكتاتيب القلعة الحمادية فظلت في البداية تعلم الأطفال القرآن الكريم و تحفيظه فقط، مثلما كان في القلعة، ولكن بقدوم الجالية الأندلسية الى بجاية، جلبوا طرائق متغيرة فمزجوا تعليم القرآن مع الحديث والعلوم اللسانية ودراسة الفقه، مما جعل الأطفال البيجائين ذ ات مس[5]توى راقي من العلم.

لا عجب ان اعتبرت الكتاتيب منذ العصر القديم ملحقات للمساجد وتوابع لها، وجدت حتى في قصور الخلفاء والولاة.[6]

---

[1] علام، عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1390هـ/ 1972 م، ص 125.

[2] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص 253.

[3] محمد عبد العزيز، محمد عادل، التربية الاسلامية في المغرب، المرجع نفسه، ص26.

[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.ص 32. 33.

[5]

[6] الشريف، سيدي موسى، اتحاد المؤرخين الجزائريين في مجلة حوليات مؤرخ، العدد 02، 2002، الجزائر، ص 98.

ج- الزوايا:

لقد كان دور الزوايا في بجاية شبيها بدورها في القلعة، فلقد تأثرت بجاية بزوايا القلعة إلى حد كبير خاصة الدور المنوط الذي لعبته فتأثرت بها.

فالزوايا جمع زاوية وهي مأخوذة من فعل " زوى" و " انزوى" بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة، وسميت بذلك لأن الذين فكرو في بناءها من المتصوفة والمرابطين اختاروا الا نزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها بنيت الزاوية.

أما اصطلاحا يراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد الغير الجامع، ليس فيه منبر كما جاء في المعجم الوسيط.[1]

وهي معاهد دينية إسلامية أنشأت لإيواء الزهاد والعباد، وكان غرض منشأتها فعل الخير واحتساب الثواب.[2]

ولقد ظهر هذا المصطلح في بلاد المغرب مرادفا للربط وهو حبس النفس للجهاد مصدقا لقوله تعال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾.[3]

عرفت تطورا كبيرا فانفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها.[4]

[1] العقبي، صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، مكتبة السوق مقابل العالم العربي، بيروت، لبنان، ج1 ص302.
[2] ابن سيده، أبو الحسن علي ابن إسماعيل، المخصص، تح: خليل إبراهيم، جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996/ 1417، ج2 ص108.
[3] سورة آل عمران، الآية 200.
[4] العقبي، صلاح مؤيد، المرجع نفسه، ص304.

لثد اثرت زوايا القلعة بمدينة بجاية بشكل كبير، لأنها كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم الدينية كالفقه والتفسير هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت تؤدي دورا تعليميا هاما خاصة في القلعة، وكان بعض العلماء يتخذون من مساكنهم مدارس خاصة.[1]

وبذلك ا حتلت الزوايا المرتبة الثانية بعد المساجد لأنها تقوم بتحفيظ القرآن ونشر العلوم الدينية وبهذا كان تأثير زوايا القلعة على حاضرة بجاية تأثيرا ثقافيا ودينيا، ويمكن القول أن زوايا بجاية تشبه إلى حد ما زوايا القلعة الحمادية.

د- **المكتبات:**

لقد أثرت قلعة بني حماد في مدينة بجاية في أمر المكتبات التي ساهمت في تنشيط الحياة العلمية ودفعها إلى الأمام.

فهي تعتبر في الإسلام نتاج لحضارته، وساهمت في توسيع نطاقها لحضارة وتغذيتها وترقيتها.[2] وهي أماكن لحفظ الكتب وترتيبها لتسهيل الاطلاع عليها والبحث فيها.[3]

لذلك نجد في دنيا الإسلام جميع أنواع المكتبات، المكتبات العامة المنفتحة للجمهور على اختلاف أنواعه وأجناسه وثقافاته، ومكتبات خاصة التي يمتلكها أفراد معنيون لخدمة أغراضهم الشخصية والمكتبات الملحقة بالمساجد والربط ومكتبات الدولة التي ينشئها الخليفة أو الأمير أو حاكم الدولة.[4]

ولها عدة تسميات منها: خزانة الكتب وبيت الحكمة.

[1] محمد، بن معمر، القلعة قاعدة بني حماد الثقافية، في مجلة حوليات مؤرخ، العدد01، 2002، الجزائر، اتحاد المؤرخين الجزائيين، ص105.

[2] محمد ماهر، حماد، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996، ص302.

[3] خيال محمد، مهدي الجواهري، من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1410هـ/ 1992م، ص111.

[4] محمد ماهر، حماد، المرجع السابق، ص82.

أما بخصوص التأثير فلقد استفادت بجاية كثيرا من مكتبات القلعة خاصة وأن القلعة الحمادية اهتمت بإنشاء المكتبات، فلقد وجدت نوعين من المكتبات، منها العامة والتي كانت بجامع المنار، وهي مليئة بكتب بلاد المشرق الإسلامي[1] تسمى بالمكتبات المسجديةجلبت من أقطار المغرب.[2]

أما الصنف الثاني من المكتبات وهي المكتبات الخاصة، كان لها تأثير كبير على الحاضرة الثانية لأنها كانت تحوي على أمهات المصادر وخاصة المخطوطات التي كانت في جميع العلوم، تخص أفراد انشأووها لمصلحتهم وفائدتهم وفي الغالب من اموالهم الخاصة، وأيضا من خلال بعض النوازل والفتاوى، كان بعض الأشخاص يقومون بالحبس خاصة الكتب، وذلك لينتفع بها المصلون، وكانوا يحبسون الكتب على القراءة والمطالعة.[3]

2- أصناف العلوم و مشاهير العلماء بحاضرة بجاية

لقد كان التأثير العلمي في قلعة بني حماد بليغا على بجاية، فعرفت الكثير من العلماء كانت لهم شهرة كبيرة يستقطبون اليها من القلعة خاصته، و انتشرت في كل بقاع المغرب الاسلامي، ولقد نبغوا في عدة مجالات مختلفة منها: العلوم النقلية والعلوم العقلية .

العلوم العقلية:

العلم في اللغة العربية نقيض الجهل، يقول ابن منظور: "علم و فقه أي تعلم وتفتح".[4] و يعرفها ابن خلدون: "... بأنها العلوم الوضعية المستندة كلها الى الخبر، عن الواضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزيئات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وصفه، و انما تحتاج

[1] الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مديوني، القاهرة، 1994م، ص342.

[2] حبيب، رزاق، مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وبجاية الناصرية، مجلة الفكر الجزائري، العدد04، الجزائر، 2005 ص. ص 114. 115.

[3] أبو مصطفى، كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص122.

[4] ابن منظور، المصدر السابق، ص 437.

الالحاق بوجه قياسي، وأصل هذه العلوم النقلية كلها في الشرعيات من الكتاب والسنة، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة، ثم يتبع ذلك علوم اللسان، وهو لسان الملة وبه ينزل القرآن"[1]، و ضعت لاستيعاب الدين.

علوم القرآن:

القرآن الكريم ، جعله الله نورا يخرج به الناس من الظلمات لقوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾.[2]

يعتبر المصدر الأول في التشريع الاسلامي، أولى به المسلمون اهتماما كبيرا، ولقد حثنا النبي صل الله عليه و سلم على قراءة القرآن والتدبر في آياته فقال عليه الصلاة والسلام: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".[3]

ولقد ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه "الاتقان في علوم القرآن" العلوم المتعلقة بالقرآن فذكر: "معرفة سبب النزول، معرفة المناسبة بين الآيات، الفواصل، علم التشابه ..."[4].

ومن أهم العلوم القرآنية التي صرف عليها العلماء الكثير من عنايتهم هو علم القراءات الشديد الصلة بالقرآن.

عرفه حاجي خليفة بقوله: "هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجود الاختلافات المتواترة و فائدته"[5]، فهي تبين القرآن كيف يقرأ.

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 359.

[2] سورة المائدة، الآية 15.

[3] أبو عبد الله محمد، بن اسماعيل بن المغيرة، البخاري، صحيح البخاري، د.ط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ج 6، ص 192.

[4] جلال الدين، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرناؤوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 208، ص 32.

[5] عادل، محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 77.

أما بخصوص تأثير القلعة على بجاية، فلقد برز جليا من خلال الدور الكبير في اهتمامات علماء من أصول قلعية، اللذين استوطنوا بجاية و ساهموا في رقي النهضة الفكرية والعلمية ولقد اوجدت لنا القلعة شخصيات برزوا في علم القراءات وكان لهم تأثير كبير على بجاية و من اوائل المقرئين بالقلعة الحمادية بالمغرب الأوسط هو المقرئ: أبو عبد اله محمد القلعي، تفوق على أقرانه و أصبحت تشد إليه الرحلة للتتلمذ على يده، كان معروف بإبن الخراط، قرأ بالقلعة و لقي بها مشايخ القراءات منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي، و المقرئ أبو الحسن علي بن عمر القلعي، و أخذ عن الخطيب المقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، انتقل الى بجاية واستوطن بها وقرا بها وانتفع الناس به لانه كان معروفا بالصلاح كما اشتهر بحسن التلاوة مما رغب الناس في القيام خلفه ،اشتغل خطيبا بالجامعين الجامع الاعظم وجامع القصبة يحضره جميع شرائح المجتمع وانتفع الناس منه واثر ببجاية.

و القارئ أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرماح، كان صادق القراءة، وله أثر بليغ على بجاية، حتى أن والي بجاية أبو عبد الله مؤمن كان يحضر لإحياء ليلة سبع وعشرين ليرغب الناس في القيام خلفه لهدف قراءته.[1]

واشهر من برع في علم القراءات أيضا ابي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري القلعي، المقرئ المتقن (ت: 581هـ/ 1189)، قرأ على يد أبيه بالقلعة الحمادية بالجامع الأعظم و كان ملازما له، تأثرت به حاضرة بجاية و استفادة من علمه، واستفاد منه خلق كثير، وكل من أخذ عنه يصفه بالدراية الإتقان.[2]

[1] الغبريني، أبو العباس، أحمد بن محمد، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الثقافة الجديدة، بيروت، 1409هـ/ 1989 م، ص.ص 133. 134. 135

[2] شمس الدين، أبي الخير الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجيستر أ شر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ/ 2006م، ج 1، ص.ص 447. 448.

اختصر كتاب التسيير لعمر الداني اختصارا بليغا، كان لا يتساهل في الإجازة، بإجازته نال المراتب الأولى وغيره من علماء القلعة اللذين أثروا ي بعلمهم على بجاية.[1]

علوم الحديث:

نظرا لأهمية الحديث النبوي أولى به علماء القلعة الحمادية عناية فائقة مما ساهم في التأثير على بجاية عن طريق اسهامات العلماء القلعيين.

فهو يعتبر المصدر الرئيسي في تشريعات الناس ، فهو في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، فهو أشرف العلوم وفي هذا الصدد يقول السمعاني: "... إعلم وفقك الله ان علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه و تعالى، إذ الأحكام مبنية عليها و مستنبطة منه".[2]

فعلم الحديث يقصد به أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، و نقل أفعاله وبدأ فيه الاجتهاد عن طريق العديد من المؤلفات نذكر منها: الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ/ 796 م)، و كتابي المسند الصحيح من حديث رسول الله صل الله عليه وسلم، والجامع للإمام ابي محمد بن اسماعيل البخاري (ت: 256هـ/ 874 م) و جامع لأبي عيسى محمد الترمذي (ت: 279هـ/ 892 م)[3] و غيرها.

ومن هؤلاء العلماء اللذين كان لهم الأثر البارز في هذا الفن سواء في حاضرة القلعة أو بجاية نذكر: "أبو عبد الله بن صنعان القلعي" (ت: 7هـ/ 12 م)، ذكر الغبريني في قوله "وكان له علم بالحديث والفقه والوثيقة، وأكثر تخاطيطه هو التحديث".[4]

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 488.

[2] ابن سعيد، السمعاني، أدب الإملاء و الإستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص.ص 25 .27.

[3] ابن فرحون، بهاء الدين، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1325 هـ/ 1991 م ن ص 176.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 187.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد القلعي، وضع كتاب " الأعلام بفوائد الأحكام " يبين فيه كتاب شيخه.[1]

وأبو محمد بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت: 669هـ/ 1270م)، كان يبدأ في مجلسه بقراءة الحديث وكان محبا للعلم وحافظا للتاريخ، وأثر في بجاية بعلمه، كانت له في بجاية وجاهة ونباهة، وكانت جموع الأمراء في أمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده هو، وكان لسان الناس فيها.[2]

كان لهم دور كبير في الحياة العلمية ببجاية والتأثير فيها.

3- علوم الفقه:

كان له الريادة في قلعة بني حماد، ومنه تأثرت بجاية بهذا العلم، فهو جملة من الأحكام المستخرجة من الكتاب والسنة، لتنظيم حياة الفرد الدينية والاجتماعية.[3]

والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[4]، فهو يعني العلم بالشيء لقوله تعالى:

﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾.[5]

وعلم الفقه وأصوله كانا من العلوم الدينية التي لها مكانة هامة عند سكان المغرب الإسلامي، وفي هذا يقول المقري: " والفقه رونق ووجاهة ".[6]

---

[1] الطاهر، بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6- 7هـ/ 12- 13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1427هـ/ 2007م، ص242.

[2] الغبريني، نفسه، ص13.

[3] عبد العزيز، فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002، ج2، ص431.

[4] محمد بن علي بن محمد، الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عزو عناية، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1419هـ/ 1999م، ص18.

[5] سورة الإسراء، الآية 44.

[6] أحمد بن محمد، المقري، التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408هـ/ 1988م، ج1، ص221.

ولقد شهد المغرب الإسلامي صراع بين السنة والشيعة، كان سببا وجيها في إنتشار المذهب المالكي في القلعة، ولقد كان حماد بن بلكين الذي أحدث إنقلاب يذكر إبن خلدون: " فأ بى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة، وأظهر السنة، ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيد بين جملة وراجع دعوة آل العباس سنة 405".[1]

درس بالقيروان وأخذ الفقه عن شيوخها، تعتبر الدراسات الفقهية التخصص الأول بالدولة الحمادية ومن الفقهاء الذين أثروا بفقههم ببجاية من أصول قلعيةنذكر: أبي فضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي (ت: 513هـ/ 119م)، تتلمذ على يد ابي عبد الله محمد بن أبي الفرج المازوني، المعروف بالذكي وهو من أهم رواد أصول الفقه في القلعة، إذ كان متميزا في الفقه المالكي، عارفا بأصول الدين يميل إلى النظر والاجتهاد، كان عاملا قويا على ازدهار الدراسات الفقهية، تخرج على يديه خيرة العلماء من آثاره: كتاب التذكرة في علوم الدين، قال عنه الغبريني: "هو كتاب حسن من أجل الموضوعات في هذا الفن".

ومن العلماء الذين لهم إسهامات فقهية أيضا نذكر: أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن الصنهاجي قرأ بمدينة القلعة، يعد من كبار الأئمة، درس وأجد العلم بقلعة بني حماد، انتقل إلى بجاية وتعمق في مختلف الفنون النقلية والعقلية، اثر في القلعة وبجاية بعلمه وفقهه، يقول فيه الغبريني: " الفقيه الرئيس الأكمل العالم " قرأ بالقلعة وكانت حاضرة علم وقراءة، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم: الشيخ أبو مدين رضي الله عنه.[2] والفقيه: أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبيد الله المعافري، إعتكف ببجاية لسنوات طويلة وأثر بها حيث قرأ عليه الكثير وكل من أخذ عنه وصف بالعناية، اهتم بالفقه، اشتهر بالتلاوة والخطابة بجامع القصبة، كانت ليلة السابع والعشرون من رمضان فيها، يمتلئ المسجد بالمصلين لسماعه، كان يدرس بالجامع الأعظم ببجاية، وقرأ عليه خلق كثير شهدوا له بالإتقان، تخرج على يديه حملة من الأساتذة الفضلاء ومن أهم مؤلفاته: اختصر كتاب التسيير لأبي عمرو الداني إختصارا بليغا.

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص228.

[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص. ص 264. 265

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن صمعان القلعي الفقيه القاضي ومنهم ايضا : [1] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبادة القلعي قال عنه الغبريني"كان حافضا للخلاف العالي والمذ هب المالكي ،حسن النظر والتوجيه "والفقيه ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابي بكر المنصور القلعي (ت: 670هـ/ 1271م)، كان عالما بأحكام الشروط.

وغيرهم: مما ساهموا في إثراء هذا الجانب العلمي والتأثير فيه، خاصة المجال العلمي منه.

4- علم التصوف:

ومن العلوم التي ساهمت في النهضة الفكرية في القلعة الحمادية، فتأثرت به بجاية نذكر علم التصوف عن طريق العلماء والمفكرين الذين رحلوا إليها وأثروا فيها بعلمهم وتصوفهم خاصة.

تنقسم الشريعة إلى قسمين: علم الظاهر وهو الفقه، وحامله يدني بالفقيه، وعلم الباطن ويعرف بفقه القلوب أو علم الآخره، وممارسه يعرف بالصوفي، وقد ورد في القرآن هذين العلمين لقوله تعالى: ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ .[2] وقوله عز وجل : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [3]

فالتصوف: عزوف النفس عن الدنيا، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، أما عن ظهوره تجمع أغلب المصادر أنه كان قبل أن تكتمل المائة الثانية للهجرة.[4]

ظهر هذا العلم في مختلف الحواضر الإسلامية وعلى رأسها القلعة، ومن أبرز متصوفي القلعة، ساهموا في القلعة وكانت تأثيراتهم في حاضرة بجاية منهم: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي ، الصالح، العابد، الزاهد

[1] الغبريني،المصدر السابق ، ص. ص 265. 266.

[2] سورة لقمان، الآية19.

[3] سورة النساء الية 83 .

[4] الطاهر، بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص. ص 34. 36.

من أبرز الشخصيات المتصوفة، يذكره الغبريني قائلا: " وصحبته كثيرا وأخذت عنه، واستقدمت عنه، وهو أحد من أخذت طريق التصوف عنه ".[1]

والشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج المازوري المعروف بالذكي[2] ساهم بمجهوداته كثيرا وكان متأثرا بالإمام أحمد الغزالي خاصة كتاب إحياء علوم الدين استنتج هذا الأخير كتاب الأحياء وجعله في ثلاثين جزءا، ولقد أورده ابن مريم في كتابه البستان قائلا: " أن أبا الفضل إنتنسخ هذا الكتاب وجعله ثلاثين جزءا، فإذا دخل رمضان قرأ في كل يوم منه جزءا" وكان يقول: " وددت أني لم أنظر في عمري سوى هذا الكتاب"[3] ما هي إلا إ اشارات جعلت من الحاضرة بجاية في قمة الإزدهار العلمي.

5- العلوم اللسانية:

هي الأخرى كانت موجة تأثيرها كبيرة على بجاية بفضل علماء القلعة الحمادية، يطلق عليها العلوم العربية وهي بلغة العرب[4]، ومن أهمها نذكر:

1- اللغة والنحو:

يربط عبد الرحمان بين تطور علوم النحو واللغة والبيان بإزدهار العمران، وبتناقضه يتراجع، ومن هذا المنظور انحصرت هذه العلوم في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع هجري في بجاية وتلمسان.[5]

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص. ص 123. 124.
[2] نفسه، ص188.
[3] ابن مريم، محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص301.
[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص236.
[5] الطاهر، بونابي، التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص246.

ومن أهم العلماء الذين برزوا في هذا المجال واشتهر هذا العلم على يده هو يوسف بن محمد بن يوسف ابن النحوي الذي كان له ميول أدبي لتضلعه في النحو، والأدب، واللغة، امتاز بأسفاره الكثيرة خاصة ببجاية بث كتبه فيها وأينما حل كان يبث وأبي عبد الله بن محمد المعافري الذي وصفه الغبريني بالشيخ النحوي.[1]

2- الأدب:

ومن أهم الكتاب في الأدب نذكر: محمد الكاتب ، أحد كتاب الدولة الحمادية في عهد يحي، كان كاتبه أثناء سقوط لدولة، وأبو القاسم عبد الرحمان الكاتب المعروف بابن القالمي من أبرز كتاب عبد المؤمن بن علي[2]، أما عن أعلام اللغة والأدب في القلعة الحمادية كثير، لهم تأثير على بجاية فقدموا جهود جبارة في رقي الحضارة العربية الواسعة، أبا القاسم البكري، ولد سنة 304، وهو أبو القاسم يوسف بن علي بن حبارة بن محمد بن عقيل الهندلي المغربي العسكري، ارتحل لطلب العلم مستزيدا به.

3- الشعر:

وهو من الفنون العربية المنتشرة في تاريخ الأدب فيه سجع معروف عنه بسهولة الخط، مفصل في قطع متوازنة، وكل قطعة تسمى بيت، ومن أهم الشعراء البارزين في القلعة، تأثرت بشعرهم حاضرة بجاية نذكر: ابن حمديس الصقلي وهو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي، ولد سنة 547هـ/ 1055م بجزيرة صقلية (سرقوس)، سافر إلى الأندلس سنة 471هـ/ 1088م، واتصل بالمعتمد ابن عباد ومدحه ثم استقر ببجاية، وأثر بشعره فيها، وأصبح شاعرا فيها خاصة " للمنصور ابن المنصور".[3]

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص133.

[2] عبد الحليم، عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. ص 263. 264.

[3] بورويبة، المرجع السابق، ص. ص 187. 194.

وأبو الطاهر عمارة بن يحي الشريف الحسين في القرن 6، قال فيه الغبريني: " وقد ذكرني أن شعره قد جمع في ديوان، ولكني لم أطلع عليه، ولقد رأيت بعض القطع المتحسنة من شعره"[1]، وغيرهم كانت لهم أدوار مؤثرة في كلتا الحاضرتين.

العلوم العقلية:

ساهمت هذه العلوم في إثراء الساحة الثقافية في القلعة الحمادية، كما ساهم علمائها في إزدهار الحياة العلمية في بجاية من خلال إرساء دعائم النهضة الفكرية والعلمية من قريب أو من بعيد، لها أهمية كبيرة في العصر الحمادي، عرفها ابن خلدون: " انها العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإسلام بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها ".[2]

تشهد مكانة مرموقة عند الحماديين نظرا لأهميتها ودورها في ترقية المجتمع، فتأثرت بجاية وازدهرت به ومن أهمها ما يلي:

1- الطب والصيدلة:

الطب علم يبحث في علاج الأمراض والمحافظة على صحة الأبدان، جعل الله سببا في علاج المرضى لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾.[3]

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص76.
[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص779.
[3] سورة يونس، الآية 57.

ومن مظاهر تطور الطب برزوا أطباء مهرةساهموا في القلعة وأثروا في بجاية ومن أهمهم: أبو جعفر بن علي بن البذوخ (ت: 575هـ/ 1079م)، كان مختصا في الأدوية المركبة والمقروءة، عارفا بالأمراض وعلاجها، ترك كثيرا من الكتب مثل: حواش على كتاب القانون لإبن سينا، وتحدث الإدريسي عن وجود مجموعة من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب.[1]

ولقد برعوا أيضا بالمداواة بالأعشاب، لأن القلعة كانت بها الكثير من العقارب تقتل في حين لسعتها وهي عقارب سوداء اللون، فكان أهل القلعة يتحصنون من ضررها فكانوا يشربون لها نبات الفليون " الحراني " متواجد بالقلعة يذكر الإدريسي: " وبهذه المدينة عقارب كثيرة سوداء تقتل في الحال، وأهل القلعة يتحرزون منها، ويتحصنون منها، ويشربون لها نبات الفليون الحراني".[2]

وممن اشتهر في علم الطب نذكر: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الشاطبي (ت: 691هـ/ 1291م) وأبو عبد الله ين يحي بن عبد السلام (ت: 07هـ/ 13م)، الذين كان لهم علم بالطب[3] والتأثير فلق بلغ الطب عند الحماديين مستوى علمي راقي وقيم، ساهمت أفكارهم ومؤلفاتهم في ازدهار الحاضرة الثانية بجاية.

2- الرياضيات:

علم مجرد ذو طابع استنتاجي تبنى بالبراهين ومن العلماء الذين برزوا في هذا العلم وتأثرت به القلعة الحمادية وبجاية ونمت منه الحياة الفكرية هم كثيرون منهم في علم الحساب: العالم أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي (ت: 665هـ/ 1270م)، قال عنه الغبريني: " وكان له علم بالحساب سبق الأولين"[4] .

[1] عبد الحليم، عويس، المرجع السابق، ص270.
[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص255.
[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص100.
[4] نفسه، ص266.

يمثل علم الفروض أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، لقي عناية في مختلف الحواضر خاصة قلعة بني حماد واستفادت منه بجاية، ومن أهم الذين نبغوا في هذا العلم نذكر: محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي له كتاب بعنوان "إيضاح الغوامض في علم الفرائض" ومحمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي" كان له علم وعمل في علم الفرائض"[1] و غيرهم كانت لهم أسبقية في هذا العلم، كانت لها فائدة في القلعة وانعكست ايجابيا على بجاية.

3- التاريخ و الجغرافيا:

مما لا شك فيه أن الفكر التاريخي، كانت له أهمية خاصة في العالم الإسلامي، وذلك أن علم التاريخ قد حظي بمكانة بارزة في الحضارة الإسلامية، كما قام بدور بارز في تكوين الثقافة الدينية للمجتمع الإسلامي، فضلا عن دوره في الحياة الاجتماعية وفنون الأدب والنشاطات السياسية والإدارية للدولة الإسلامية[2].

يقول ابن خلدون: " إعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد، شريف الغاية ".[3]

فعلم التاريخ يعتبر من أوسع العلوم، لإرتباطه الوثيق بفنون كثيرة، كالتراجم والطبقات والأنساب...

ومن بين الأعلام الذين اهتموا بالتاريخ وكانت لهم تأثير كبير على القلعة وخاصة بجاية، ومن الذين اهتموا بالتاريخ: أبي محمد القلعي، الذي كان يدرس بالجامع بحاضرة بجاية، وساهم في رقي الحضارة ومحمد ميمون قاضي القلعة، ويوسف الورجلاني المولود سنة 500هـ، صاحب كتاب " فتوح المغرب " ومن المؤرخين الذين ارتبطوا

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص 26.

[2] علي بن محمد بن سعيد، الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية [212- 484هـ/ 826- 1091م]، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإصلاحية، جامعة أم القرى، السعودية، 414هـ/ 1993م، ص416.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص32.

بالدولة، وانتسبوا إليها، وأبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي، مؤلف أحد أكبر كتاب في التاريخ الصنهاجي ألا وهو: " النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة "، وكتاب" أخبار ملوك بني عبيد"، وكتاب" الأعلام بفوائد الأحكام ".[1]

كما أن حماد اهتم بتلخيص الموسوعات التاريخية الإسلامية المعروفة، ككتاب:" أخبار الرسل والملوك" لابن جرير الطبري، ووضع له ملخص وغيرهم، استفادت منه هذه المؤلفات كثيرا كلتا الحاضرتين فصعدت سلم الإرتقاء.

الجغرافيا:

هناك أكثر من قرينة تأكد ضرورة اهتمام الحماديين بهذا العلم، فلقد كان الكثير من المغاربة يرحلون إلى المشرق في رحلات علمية، فضلا عن رحلة الحج، وصلاتهم التجارية بالأندلس والمشرق، ما أوجب ضرورة الاهتمام بالجغرافيا.

ومن الأسباب القوية التي حملت المغاربة على هذه الرحلة إلى المشرق هي: فتح معز الدين الفاطمي مصر بجيش مغربي، ومن الثابت أن هذا الجيش استقر بمصر، وكون عنصرا من العناصر الموجودة بالمجتمع المصري، وشهرة ابن حوقل والإدريسي كفيلة بتاكيدبذلك.[2]

أثر الرحالة في بجاية من خلال عمليات التبادل التجاري من جهة، وطلب العلم من جهة أخرى، وحظيت بجاية بالعديد من الرحالة.

[1] عبد الحليم، عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص269.
[2] نفسه، ص. ص 269. 270.

تأثير القلعة على بجاية من الناحية الاجتماعية:

لقد حظيت بجاية بمكانة اجتماعية مرموقة هامة، خاصة بعد سقوط القلعة، وذلك من خلال مختلف الأجناس الذين وفدوا إليها وساهموا فيها، استفادت بجاية من خراب القلعة وشكلت كتلة متعددة العناصر أثرت فيها ومن أهمها:

1- القبائل البربرية:

كلمة تطلق على شعوب إفريقيا الشمالية، أول من استعمل هذا الاسم هو الرومان[1]، ومن أشهر القبائل التي سكنت بجاية، تتفرع عنها قبيلة صنهاجة، التي كانت الدولة الحمادية محدثة في عهدهم من طرف أبناء ملوك صنهاجة.[2]

ومن القبائل أيضا التي شكلت مجتمع بجاية وهي قبيلة كتامة، تمتد من بجاية إلى كل من القل، وبونة، شرقا، لها بطون كثيرة منها: سيلين، وطرسون، وطرغيان.[3]، وكانت هذه القبيلة منتشرة في بجاية، قبل بناء المدينة من طرف الناصر.

أما قبيلة زواوة، فهي ليست قبيلة واحدة، بل هي مجموعة من القبائل، فهي تشمل جزء كبير من الشرق الجزائري، متواجدة بكثرة في الجبال الوعرة، كجبال خراطة، وبابور، مما يصعب الوصول إليها.

اهتم الناصر بن علناس كثيرا بهده القبيلة، وألحقها بدولته، وعين عليها حاكما ألا وهو ابنه عبد الله انتقل إلى بجاية عام (461هـ/ 1070م)، واستخدم ما يسمى بإسقاط الخراج، وذلك لتقوية حاضرته واستقطاب القبائل المحيطة ببابديته.[4]

---

[1] ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج1، المصدر السابق، ص369.

[2] مؤلف مجهول، الاستبصار، تح: سعد زغلول، المصدر السابق، ص128.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص150.

[4] مفتاح، حلقات، قبيلة زواوة ما بين القرنين 6-9هـ/ 12-15م، دراسة سياسية وعمرانية واقتصادية واجتماعية وثقافية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008. 2009، ص. ص 25. 26.

2- القبائل العربية:

احتل العنصر العربي ببلاد المغرب المرتبة الثانية بعد البربر[1]، ومن بين القبائل التي كونت المجموعات البشرية هي القبائل العربية الثلاثة، كبني هلال وسليم وبني معقل، ونجد أن بناء بجاية كان بفضل الهلاليين العرب.[2]

ولقد أحدثت الهجرة الهلالية إختلال في النمو الديمغرافي، بين المدينة والبادية، لأن الهلاليين تميزوا بطابع البداوة، ولم يتقبلوا فكرة السلطة، وانتقال الناصر بن علناس إلى زواوة، ما هو إلا للتخلص من بطش القبائل الهلالية، يقول ابن خلدون: " ولم يزل هذا دأبهم حتى هاجر الناصر واحتط بساحل القلعة ".[3]

فقدت القلعة مكانتها السياسية لتحل مكانها حاضرة بجاية، التي أصبحت مصدر وحصن قوي للتصدي لهجمات البدو الهلاليين، كذلك تأثرت بجاية بالقلعة بعد سقوطها من خلال الهجرة التي وفدت إليها من مختلف الأقطار وكونت وساهمت في ثقافتها وازدهارها ومنه .

3- الفئة المهاجرة:

لقد عرفت بجاية العديد من اللاجئين، من مختلف أقطار المغرب الأوسط، فكانت في مقدمتها هجرة الأندلسيين والصقليين، يقول البكري: " مرسى مدينة بجاية أزلية أهلها عامرة بأهل الأندلس بشر فيها نهر كبير"[4]، فعندما ضعف سلطان المسلمين في الأندلس وصقلية ومالطة، وغيرها من الأماكن التي تعرضت لعمليات الإبادة من طرف الزحف الصليبي، ولقد استقر الأندلسيين بالسواحل، ولم تخلوا بجاية من العنصر الإسباني

[1] أبو ضيف، مصطفى، احمد، اثر القبائل العربية في الحياة المغربية من خلال عصر الموحدين وبني مرين، مطبعة دار النشر، المغرب، 1982، ص. ص 58. 59.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص320.

[3] مفتاح، حلقات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين 6-9هـ/ 12-15م، المرجع السابق، ص237.

[4] البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص82.

كذلك[1]، وحتى من القلعة الحمادية بعد الغزو الهلالي، ساهم هؤلاء المهاجرين في التأثير في بجاية وذلك من خلال مساهمتهم في مختلف الأنشطة الحضارية والاقتصادية،استفادوا منها أهل بجاية، كانوا مزيج من علماء فقه ودين، ومثال ذلك نذكر: الأمير الصمادجي.

وتجلى تأثيرهم أيضا من خلال نعلهم لمختلف عاداتهم وتقاليدهم مثل: الموسيقى الأندلسية، التي لا زالت إلى يومنا هذا في الجزائر[2]، قدر العلماء المهاجرين إليها بـ 10 علماء أي ما يعادل 18%.

أهل الذمة:

لقد تمركزت المسيحية بقلعة بني حماد، واستطاعت أن تثبت شوكتها داخل الدولة، تميزوا بالحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية، كانت لهم كنيسة تسمى بالعذراء في القلعة، دشنها العزيز بن المنصور أحد حكام الدولة الحمادية، وكان كاهنها يسمى: " عزرون ".[3]

تميز ملوك القلعة معهم بالتسامح.

أما التواجد اليهودي ، كان منذ القدم في القلعة الحمادية، وعن التأثيرات التي كانت في الحاضرة: أنهم ساهموا في إثراء الحياة الثقافية والاقتصادية، فامتهنوا عدة حرف، واشتغلوا بالتجارة والصباغة والأمور المالية.[4]

[1] عبد الحليم، عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص237.

[2] رابح، بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص214.

[3] عبد الحليم عويس، الدولة الحمادية صفحة رائعة من تاريخ الجزائر ، مرجع السابق ،ص189.

[4] رشيد ،بورويبة ، المرجع السابق ،ص166، 3 مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائري القديم و الحديث،تص: محمد ، الميلي، المؤسسة الوطنية للطباعة ، الجزائر ،د.ت ، الجزائر، ج2 ،ص258

كانوا يحسنون معاملتهم، أما في عهد الناصر بن علناس، فلقد أبرم معهم علاقة صداقة، وتراسل مع البابا جرجوري السابع.[1]

طبقات المجتمع:

تعتبر من أهم الطبقات التي ساهمت في حاضرة بجاية، ولعبت دورا كبيرا بها، ساهمت في الحضارة ومن أهمها:

1- طبقة كبار الجند:

وهي الطبقة التي تقوم بحماية كيان الدولة من العدوان الخارجي، وهي مؤلفة من القادة السياسيين والعسكريين، وتضم حتى زعماء القبائل، تشمل على عناصر صنهاجة، وهلالية، والعبيد.[2]

2- طبقة الفقهاء والعلماء:

تتكون هاته الطبقة من العلماء ورجال الدين والقضاة، وأغلب المصادر لم تخبرنا عن الأسماء الذين تولوا القضاة، ونظرا لحنكتهم وكفاءتهم ومعرفتهم للفقه والشريعة، فكانوا يعينون من طرف الأمير[3]، كما أنهم قدمت لهم مساعدات والعون خاصة المتوافدين.

3- الطبقة المتوسطة:

تضم أرباب الأموال من التجار والسياسيين، ولقد نهى ابن خلدون: أنه لا يصح من الطبقات الخواص، حيث يذهب بأنهم يتصفون بصفات أخلاقية ناتجة عن التجارة بالبيع والشراء.[4]

[1] صالح يوسف ، بن قربة ، تاريخ مينتي المسيلة و قلعة بني حماد ، المرجع السابق ، ص 148

[2] رشيد، بورويبة، المرجع السابق، ص. ص 127. 160.

[3] صالح يوسف، بن قربة، تاريخ مدينة وقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص238.

[4] الهادي روجي، إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بن زيري من القرن10 إلى القرن12، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ص. ص 167. 176.

4- الطبقة الدنيا:

تشمل صغار الفلاحين والمزارعين، وصفهم المقريزي: " بذوي الحاجة والمسكنة "، يمكن أن نطلق لفظة العامة على الناس الذين يعيشون في المستوى الأدنى من طبقات المجتمع، ويكون تصنيفهم في أسفل الهرم الاجتماعي، ولقد عرف جورجي زيد العامة بقوله: " هم أخلاط من غوغاء ولفيق من أهم شيء وصناعات شتى، وهم أتباع مما سبق إليهم من غير تفصيل، ولقد شكلت هذه الطبقة أساس القوى المنتجة من الفلاحين والحرفيين والباعة في الأسواق.[1]

المرأة وتجسيد دورها في المجتمع:

تعتبر المرأة الركيزة التي يقوم عليها المجتمع الحمادي، وذلك لما حققته من أدوار فعالة في تكوين الأسرة من جهة وتربية الأبناء، وغيرها من الأدوار والأعمال المنزلية، وحتى أنها شاركت الرجال في شؤون السياسة، كانت لها حرية مكفولة، وفي هذا الصدد يذكر ليفي بروفنسال: " أن المجتمع الحمادي كان يسوده نوع من الحرية في العادات دون أن تبلغ مبلغ الأمر الجائز.[2]

ومن نابغات البيت الحمادي الذين كان لهم دور سياسي وتأثير بليغ، وهي بلارة بنت تميم بنت المعز بن باديس، وهي من ربات العقل والرأي، ولدت بمهدية، واعتنى والدها بتربيتها تربية عربية قوامها العلم والدين، ولما نشبت

[1] مخطاري أسماء، قلعة بني حماد، الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2014/ 2015م، ص. ص 80. 81.

[2] ليفي، برو فنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مر: لطفي عبد العزيز، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1408هـ/ 1990م، ص271.

رغب الأمراء في خطبتها، فخطبها ابن عمها الناصر بن علناس الصنهاجي، صاحب قلعة بنب حماد وبجاية وتزوجها، ابتنى لها بقلعة بني حماد وبجاية قصورا شامخة، وأحاط بها الحدائق ، اشتهر باسمها وعرف بقصر بلارة.[1]

وكانت المرأة سواء في القلعة أو غيرها تتزين بمختلف أنواع الذهب والفضة والحلي، خاصة في المناسبات والأفراح، والتي تتكون من الأقراط والأساور والخلاخل، عثر عليها أثناء التنقيب بقلعة بني حماد.[2]

ومن خلال ما سبق من الدراسة حول المرأة الحمادية، لم توفها المصادر حقها، فهي شحيحة جدا.

[1] حباش فوزية، عزايج خديجة، دور المرأة ومكانتها في الدولة الزيرية والحمادية(574- 362هـ/ 972- 1152م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة يحي فارس، المدية، 2015م/ 2016م، ص. ص 63. 64.

[2] صالح يوسف، بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص408.

خاتمة

خاتمة :

بعد الإطلاع على جملة من الدراسات و تتبعا من أمهات المصادر و بعضا من مختلف المراجع عن تاريخ القلعة الحمادية و التأثير الذي خلفته على الحاضرة الثانية بجاية ، هذه الدولة التي بلغت أوج تطورها و شهرتها في منطقة المغرب الاوسط بصفة خاصة ، و العالم الإسلامي بصفة عامة.

و لعل أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذه الدراسة المتواضعة هو أننا كشفنا التأثير البارز العلمي و الإجتماعي الذي تركته القلعة على بجاية.

و لقد تركت الحضارة الحمادية أثارها في عدة مجالات فلقد كانت القلعة ثم بجاية المرفأ الآمن الذي يتلقى فيه الباحثين العلم و المعرفة حتى أصبحت حاضرة بجاية " مكة الصغيرة " التي أصبح يحج اليها أغلب الباحثين طلبا للحياة و المجد و العلم و في ظل هذه السياسة ، قدم الحماديون الكثير للحضارة العربية إسلامية و بها أصبحت بجاية منارا إشعاعيا ووعاءا فكريا و هذا الفضل يرجع الى علماء القلعة الذي وفدوا اليها و ساهموا في تنشيط الحركة الفكرية و تأسيس بعض العلوم التي يمكن اختبارها بداية للنضج الفكري و التمييز الحقيقي و بذلك بلغت العاصمة بجاية أوجها ، بذلك تحقق التوازن الفكري بازدهار مختلف العلوم و أصبحت قبلة لمختلف الطلبة و الأدباء و الشعراء و أيضا توافد أجناس اليها أدى الى تنوع التركيبة البشرية و بالتالي انتعاش فكري في مختلف الميادين.

و عليه أصبح دور القلعة دورا ثانويا بسبب ما أحدثه الهلاليون و عمرت بجاية بفضل القلعة و أصبح لها أثر بارز على مر التاريخ.

و لقد ساهم الموقع الجغرافي في تطوير الجانب الاقتصادي لكل من القلعة و بجاية و لقد كان يتوسط المغرب و حاضره ملتقى للطرق التجارية من جهة أخرى الاستقرار السياسي و التحصينات العسكرية ، كل منهما ساهم في فتح حركة التبادل التجاري و بالتالي انتعاش الحياة اقتصادية في كلا الحاضرتين كما أن النهضة الثقافية الحمادية تعتبر ميزة أساسية في فتح أبواب التفاعل الثقافي و نشر فكرهم مع غيرهم و بناء ضرح اسلامي يشهد له التراث الجزائري الى يومنا هذا .

و على هذا الأساس لقد عرفت كلا الحاضرتين مرحلة من الإزدهار و التطور لتكون من اهم الحضارات في بلاد المغرب الاسلامي على العصر الوسيط و ما وصلت اله بجاية ماهو الا بفضل قلعة بني حماد فظهورها غدا شاهد قوي على رقي الحضارة الإسلامية.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الحديث النبوي.
- الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة (207/ 275هـ)، حقق نصوصه و رقم كتبه و أبوابه و أحاديثه و علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1918، ج1.
- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة، البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثر، دمشق، بيروت، ج6، 3ن.

أولا: المصادر

1– ابن حوقل، محمد أبو القاسم الليبي (ت: 368هـ/ 979 م)، صورة الأرض ، د. ط، منشورا مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996.

2– ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت: 630هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، تح: نخبة من العلماء، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415 هـ/ 1955م، ج8.

3– ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت: 766هـ/ 1374م)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الجزء الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح و تق: أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتافي، ط 1، دار الكتاب للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1964.

4– ابن خلدون، عبد ارحمان بن محمد الخضرمي الاشبيلي (ت: 808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مكتبة القاهرة، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، لبنان، 1991، ج 6.

5– ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ/ 1286 م)، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

6– ابن سعيد، السمعاني، أدب الإملاء و الإستملاء، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

7– ابن سيده، أبو الحسن علي ابن اسماعيل (ت: 458هـ/ 1065م)، المخصص، تح: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1437هـ /1996 م.

8– ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: 712هـ/ 1309 م)، البيان المغرب في اخبار المغرب و الأندلس، تح: كولان وليفي بروفينسال، ط 2، دار الثقافة، لبنان، 1401 هـ/ 1983م، ج 1.

9- ابن فرحون، بهاء الدين ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت: 730هـ/ 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1325، 1911.

10- ابن مريم، محمد بن أحمد (أبو عبد الله): (كان في سنة 1014هـ/ 1605 م)، البستان في ذكر الأولياء و علماء تلمسان، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ت.

11- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، تص: أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، ط 3، دار احياء اتراث العربي، بيروت، 1999، ج1.

12- أبو الحسن مسلم، ابن الحجاج القشيري(ت: 291- 874هـ)، صحيح مسلم، ط 1، دار المفتي للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/ 1998 م.

13- الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريسي الحمودي الحسني، (ت: 548هـ/ 1158 م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1419هـ/ 2002م، ج1.

14- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت: 487هـ/ 1094)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، تح: فن لويفن، و اندري فييري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج 2.

15- التمبكتي، بابا أحمد، (ت: 963هـ/ 1036م)، تح: بن الابتهاج بتطريز الديباج،اشر:وتق: عبد الحميد عبد الله ووضع هوامشه: طلاب من كلية الدعوى الاسلامية، ط 1، منشورات كلية الدعوى الاسلامية، طرابلس، ليبيا، ج 1.

16- الجزري، شمس الدين أبي الخير، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجيستراس، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ/ 2006 م، ج 1.

17- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت: 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1981، ج 1.

18- الحميري، محمد عبد المنعم (ت: 866هـ/ 1461 م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط 2، طبع على مطابع دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980.

19- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، (ت: 911هـ/ 1505 م)، اللإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرناؤوط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2008.

20– الشريف الادريسي، وصف افريقيا الشمالية و الصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه و نشره: هنري بيرسي، ط 1، الجزائر، 1376.1957.

21– الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عزو غناية، ط 1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1419. 1999 م.

22– العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: أواخر القرن 07 هـ/ 13)، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، ط 1، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/ 2007م.

23– غبريني، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت: 704هـ/ 1304 م)، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح و تع: عادل نوينض، ط 2، منشورات دار الثقافة الجديدة، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

24– القلقشندي، أبو العباس (ت: 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.ط، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ/1915 م، ج 5.

25– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا و الدين، ط 1، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987 م.

- المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

26– المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988 م، مج 1.

27– المقريزي (ت: 845هـ)، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، مطبعة النيل، مصر، 1324، ج 1.

28– مؤلف مجهول، (عاش في ق: 07هـ / 13م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، عبد الحميد، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.

29– النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/ 1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ط 1، تح: مفيدة قمحية و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004 م.

30– الوزان حسن، حسن محمد الفاسي (ت: 957هـ/ 1552م)، وصف افريقيا، تر: محمد الأخضر– محمد حجي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

ثانيا: المراجع

- **أبو ضيف، مصطفى أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبني مرين، مطبعة دار النشر، المغرب، 1982م.**

1– أبو مصطفى، كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

2– أحمد، أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت، ط..، ج2.

1– اسماعيل، العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، العدد 19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مارس– أفريل، 1394هـ/ 1974م.

1– ألف سنة من التأسيس، 318، 1427هـ/ 2007م.

3– بن عبد الله، عبد العزيز، تاريخ الحضارة المغربية، د.ط، دار السلمي، الدار البيضاء، 1962م.

4– بن قربة، صالح، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

2– بن معمر، محمد، " القلعة قاعدة بني حماد الثقافية "، في مجلة حوليات مؤرخ، العدد: 01، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002م.

5– بن نبيلي، صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الإستقلال (814ق.م/ 1962م)، إيدكوم للنشر والتوزيع، 1430هـ/ 2013م.

6– بورويبة، رشيد،الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

7– بونار، رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.

8– بوناني، الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين (6-7هـ/ 12-13م)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1427هـ/ 2007م.

ثالثا: المراجع المعربة:

9– ثوار، أحمد، أعلام وأعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن 5هـ إلى القرن 19م، سلسلة الرياضيات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004م.

- جيلالي عبد العزيز، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، الملتقى الدولي الأول حول قلعة بني حماد، المعاضيد، المسيلة، 1987م.

10– الجيلالي، عبد الرحمان ابن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/ 1965م، ج1.

1– حباش، فوزية، عزايج خديجة، دور المرأة ومكانتها في الدولة الزيرية والحمادية (574- 362هـ/ 572-1152م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشر: عبد العزيز حاج كولة. جامعة يحي فارس، المدية، 2015/ 2016م.

11– حساني، مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، د.ط، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ج5.

12– حلقات، مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/ 12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2011م.

2– حلقات، مفتاح، قبيلة زواوة ما بين القرنين 6-9هـ/ 12-15م، دراسة سياسية وعمرانية واقتصادية واجتماعية وثقافية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشر: الأستاذ الدكتور عبد العزيز الفيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/ 2009م.

13– حماد، ماهر محمد، المكتبات في الإسلام (نشأتها وتطورها ومصادرها)، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996م.

14– خالدي، عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، د.ط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

3– خالدي، مسعودي، الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين 2هـ و 3هـ، مجلة كان التاريخية، دورة إلكترونية محكمة، العدد 20، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2012م.

خامسا: الملتقيات:

رابعا: المجلات والدوريات:

4- رزاق، حبيب، مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وبجاية الناصرية، في مجلة الفكر الجزائري، العدد04، الجزائر، 2005م.

1- روبي، الهادي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرنين 10م إلى 12م، ط1، تر إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م ج1.

3- ريحاب، محمد كمال/ محمد أحمد المغربي، التجارة في عصر بني حماد (408- 547هـ/ 1017-1952م)، بحث مقدم، إشر: البيومي اسماعيل الشربيني، علاء طه رزق حسين، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمياط، مصر، د.ت.

سادسا: الرسائل والأطروحات:

15- السامراني، حسام، المدرسة مع التركيز على النظاميات، بحث مطبوع عن أبحاث الفكر التربوي في الإسلام، المجمع المالكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1409هـ.

16- سليماني، أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، د.ط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر.

17- السيد عبد العزيز، سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

5- سيدي موسى، محمد الشريف، " إتحاد المؤرخين الجزائريين"، في مجلة حوليات مؤرخ، العدد: 02، الجزائر، 2002م.

4- صغيور زهيرة، جوانب من حضارة قلعة بني حماد (العمران والفنون نموذجا)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشر: الدكتور عبد العالى حروز، قسم التاريخ، جامعة بوضياف محمد، المسيلة، 2019/ 2020م.

5- صلاح، جلول، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي (5-6هـ/ 11-12م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشر: الدكتور محمد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1435هـ/ 1436هـ // 2004م/ 2015م.

18- الطمار، محمد بن عمر، تاريخ الأدب الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

19- الطمار، محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1430هـ، الجزائر، 1427هـ/ 2010م.

20– عبد العزيز، محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987م.

21– عز الدين، موسى، أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، القاهرة، 1973م.

22– عزروق، عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، إحصاء وجرد وتحليل: مؤسسة الضحى، ط1، 1434هـ/ 2013م.

23– العقبي، صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، مكتبة الشرق مقابل العلم العربي، بيروت، لبنان، ج1.

24– علام، عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1390هـ/ 1972م.

25– علاوة، عمار، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1425هـ/ 2008م.

6– علي بن محمد بن سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212- 484هـ/ 826-1091م)، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: ضيف الله بن يحي الزهراني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ/ 1996م.

26– عمار، عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

27– عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد (صفحة رائعة من تاريخ الجزائر)، جمع وتنسيق: لغليطي حميد وسويسي جمال، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

28– عيسى، عبد الحميد محمد، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي، 1972م.

29– الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مديوني، القاهرة، 1994.

30– فيلالي، عبد العزيز ،تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر والتوزيع،الجزائر،2002،ج2.

2– ليفي، بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مر: لطفي عبد العزيز، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1400هـ/ 1990م.

7– مخطاري، أسماء، قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر: إشر: الأستاذ الدكتور دلباز محمد.

31– مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، تح: علي الزواوي، محمد محفوظ، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج1.

32– مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضاراته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ/ 1992م، ج1.

33– الميلي، محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، نص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ج2.

2– هيصام، موسى، أثر التحصينات الحمادية في تأسيس الدولة والحفاظ على استمراريتها، قلعة بمي حماد نموذجا، جامعة المسيلة، أعمال الملتقى الدولي حول مدينتي قلعة بني حماد.

فهرس الموضوعات :

- **شكر و تقدير.**
- **إهداء.**
- **قائمة المختصرات.**
- **مقدمة**.....**أ–و**
- **مدخل** 8

الفصل الأول: لمحة تاريخية جغرافية للقلعة وبجاية.

1.1– التحديد الجغرافي للقلعة.....12

2.1– أصل التسمية والتخطيط لبناء قلعة بني حماد.....14

3.1– ظروف نشأتها السياسية.....18

1.2– بجاية وظروف نشأتها.....22

2.2– التحديد الجغرافي لبجاية.....24

2.3– الظروف السياسية لنشأتها.....26

الفصل الثاني: عوامل ازدهار الحاضرتين لقلعة بني حماد وبجاية

1– العامل الجغرافي.....31

2– العامل السياسي.....33

3– العامل الإقتصادي.....35

4- العامل الاجتماعي.....43

الفصل الثالث: تأثير قلعة بني حماد على بجاية

1- تأثير القلعة على بجاية من الناحية العلمية 53

2- تأثير القلعة على بجاية من الناحية الإجتماعية 73

خاتمة.....80

الملاحق.....83

قائمة المصادر والمراجع.....86

ملخص:

تتضمن هذه المذكرة دراسة عن تاريخ كل من قلعة بني حماد وبجاية في العهد الحمادي.

فتسلط الضوء على التأثير العلمي والاجتماعي الذي أحدثته حاضرة القلعة الحمادية على العاصمة بجاية.

فالقلعة استفادت من خراب القيروان وبجاية عمرت بخراب القلعة.

تحظى بجاية بأهمية علمية واقتصادية واجتماعية وذلك لانتقال العلماء إليها والدور الذي أحدثوه فيها ضف إلى ذلك التركيبة السكانية التي ساهمت بشكل أو آخر من تعميرها وتطوير طرازها العمراني.

الكلمات المفتاحية:

الدولة الحمادية – قلعة بني حماد

المغرب الأوسط – الناصرية – بجاية

Summary:

This note includes a study on the history of the castles of Beni Hammad and Bejaia in the Hammadid era.

It sheds light on the scientific and social impact that the Hammadid castle metropolis had on the capital, Bejaia.

The castle benefited from the ruins of Kairouan and Bejaia, which was destroyed by the ruins of the castle.

Bejaia is of scientific, economic and social importance due to the movement of scholars to it and the role they played in it, in addition to the demographic structure that contributed in one way or another to its reconstruction and the development of its urban style.